الرابطة

السنة 60 العدد: 695 ذو الحجة 1445هـ

* مبادرات تنفيذية لحشد دعم الاعلام الإسلامي والدولي للاعتراف بدولة فلسطين
* د. العيسى يحاضر في مكتبة الإسكندرية

لبيك اللهم لبيك

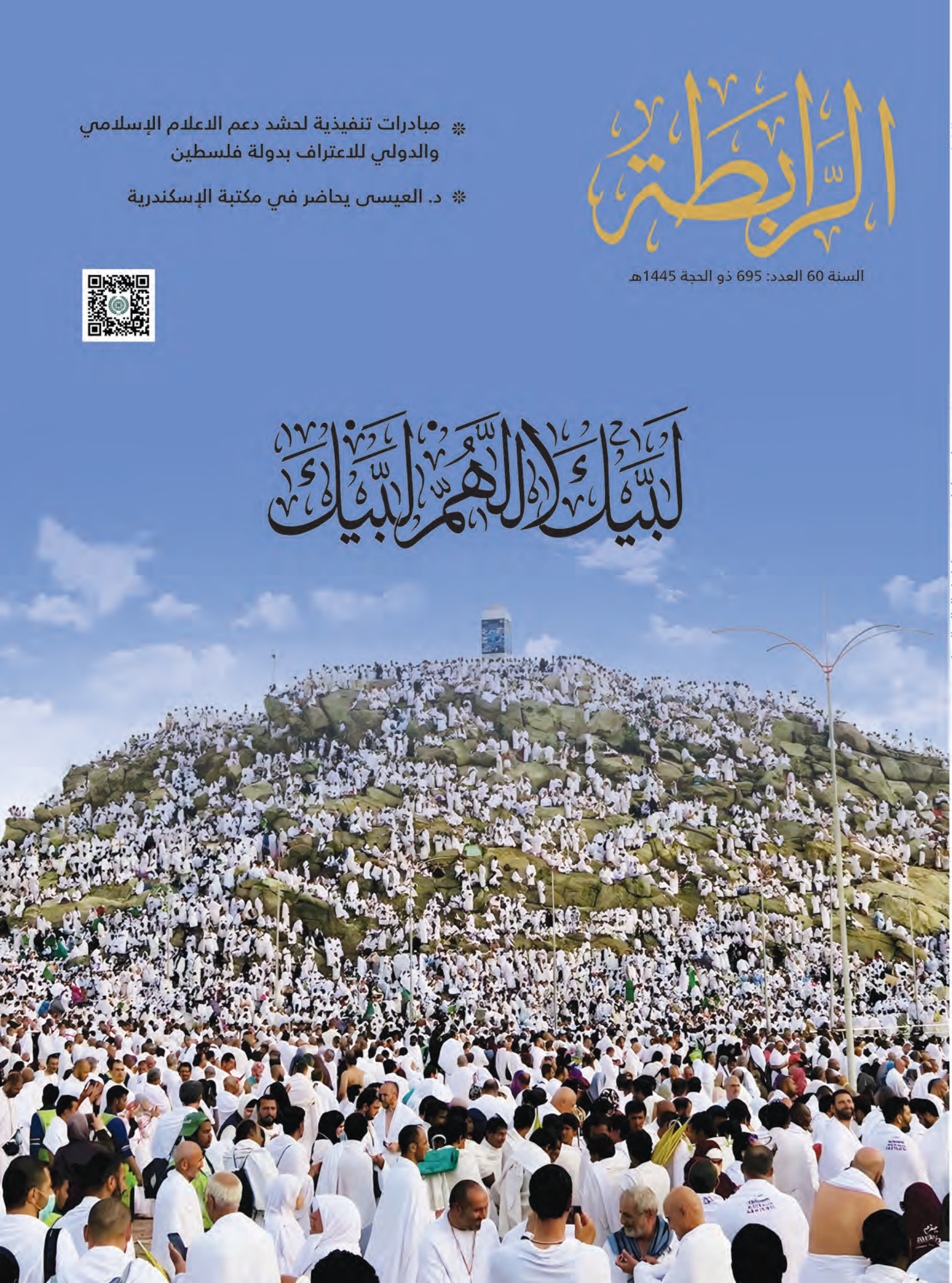

الرابطة
شهرية. علمية. ثقافية. تصدرها رابطة العالم الإسلامي
السنة 60 العدد: 695 ذو الحجة 1445هـ

مظاهر تيسير أعمال الحج

في بداية مواسم الحج في كل عام تهوى أفئدة المسلمين جميعا من كافة أصقاع الأرض إلى مكة المكرمة، ملبيةً نداء إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام؛ حيث أمره الله تعالى أن يدعو الناس لحج بيت الله الحرام بعد أن فرغ من بنائه، قال تعالى: «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق»، فصعد على جبل أبي قبيس فنادى، فأبلغ الله صوته كل مكان، فمنذ ذلك النداء لا تزال تتوافد وفود الرحمن من أرجاء المعمورة إلى بيت الله العتيق لأداء فريضة الحج، متحملين جميع المشقات في ذلك. وبفضل الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية أصبح أداء الحج الآن سهلا وميسرا، بدءاً من الوصول إلى مكة المكرمة، والطواف بالبيت الحرام، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة ومنى، ورمي الجمرات، وقد أسهم في ذلك مشروع توسعة الحرمين الشريفين، وتطوير المشاعر المقدسة، وتجهيز القطار بين المشاعر، وبين مكة المكرمة والمدينة المنورة، إضافة إلى توفير النقل العام والأنفاق والطرق.

فقد بذلت المملكة كل ما في وسعها للارتقاء بالخدمات المختلفة الرامية إلى خدمة ضيوف الرحمن، والحفاظ على أمن الحجاج، وتقديم ما يمكن تقديمه من الخدمات الصحية والرعاية والتنظيم والأمن والأمان، وتوفير كافة المرافق التي يحتاجها الحاج في رحلته، الأمر الذي جعل أداء فريضة الحج لكل القادمين من الداخل والخارج سهلا وميسرا.

وفي مقدمة مظاهر التيسير على الحجاج لأداء فريضة الحج في هذا العام ١٤٤٥هـ على أفضل وجه، مبادرة «طريق مكة»، التي انطلقت جزئيا عام ١٤٣٨هـ واستفاد منها عدد من الدول الآسيوية والعربية، وكانت تهدف إلى تيسير رحلة الحجاج القادمين من الخارج من خلال تطوير الخدمات المقدمة لهم، بدءاً من إصدار تأشيرات الحج إلكترونيا، وترميز وفرز الأمتعة، ثم تسليمها لهم في مقار سكنهم، وبلغ عدد المستفيدين منها ٦١٧,٧٥٦ حاجاً، منذ إطلاقها في ١٤٣٨هـ إلى عام ١٤٤٥هـ.

وكذلك بطاقة النسك الجديدة، فهي أيضا من المظاهر التي تهدف للارتقاء بالخدمات المقدمة للحجاج والمعتمرين باستخدام أحدث وسائل التقنية، فهي تعريف وخدمة وابتكار بنسختيها المطبوعة والرقمية، وهي مستند تعريفي للحاج، ووسيلة تسهِّل عليه طلب الخدمات والوصول إليها، فهي الإثبات الرسمي الوحيد المعتمد للحاج النظامي في المشاعر المقدسة، وعبرها يمكن الوصول إلى جميع المعلومات الشخصية والصحية للحاج، وبيانات السكن، وشركة تقديم الخدمة التي يتبع لها الحاج، إلى جانب بيانات التواصل مع قائد مجموعته، حيث يحصل الحاج على بطاقته المطبوعة عبر طلبها من مزود الخدمة. وتركز المملكة كذلك على الارتقاء بمهارات العاملين في الخدمة الميدانية لضمان خدمات متميزة، باعتماد برامج تدريبية متميزة وفاعلة بالتنسيق مع كافة الجهات ذات الصلة، لتيسير أداء الحجاج والمعتمرين والزوار لمناسكهم.

وتقوم المملكة بهذه المهمة الدينية وفق قيم وتعاليم العقيدة الإسلامية السمحة لتقديم خدمات متميزة، وتوحيد الجهود لتحفيز المواطن ليسهم بدوره، ما وسعه ذلك، في خدمة ضيوف الرحمن سواء مكلفاً أو متطوعاً.

من جهة أخرى، كانت منظمة الصحة العالمية قد أشادت بفعالية التدابير الصحيّة العامّة التي تضعها وزارة الصحة في المملكة لضمان تحقيق حج آمن، مثل: الترصُّد الفعّال للكشف المبكر عن أي فاشيَّة للأمراض المعدية بين الحجاج والاستجابة لها، ومكافحة العدوى والوقاية منها، والتلقيح، والتوعية بالمخاطر والاستجابة لها في الوقت المناسب، وفقاً لمتطلبات اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

المحتويات

الرابطة - العدد: ٦٩٥ ـ ذو الحجة ١٤٤٥هـ

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

مساعد الأمين العام للاتصال المؤسّسي

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

المدير العام لإدارة المحتوى

أ. ياسر بن صالح الغامدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

المستشار الإعلامي

د. أحمد بن حمد جيلان

مدير التحرير

أ. عبدالله بن خالد باموسى

٤ | مبادرات تنفيذية لحشد دعم الإعلام الإسلامي والدولي للاعتراف بدولة فلسطين

٨ | د. العيسى يحاضر في مكتبة الإسكندرية

١٠ | ليشهدوا منافع لهم...

١٧ | «الوقف» في الحج .. رفع للدرجات ومحو للسيئات

- المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب 537 مكة المكرمة - هاتف: 00966125309387 المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير - البريد الإلكتروني: mwljournal@themwl.org
- الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

٢٣ | الحرم المكي: مشاهد خالدة.. وخدمات رائدة

٣٠ | المطوفة فاتن: المهارة والجدارة شرط دخول المرأة لـ «الطوافة»

٣٧ | «كوك» يصدر كتابه «أصول الفكر التربوي الإسلامي»

٤٣ | السنغال: نداءات باعتماد «العربية» لغة رسمية للبلاد

- للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org - طبعت بمطابع تعليم الطباعة - رقم الإيداع: 343/1425 - ردمد: 1658-1695

في المنتدى الدولي المشترك بين الرابطة و«يونا»

مبادرات تنفيذية لحشد دعم الإعلام الإسلامي والدولي للاعتراف بدولة فلسطين

الرابطة:

أطلق معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ومعالي الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، السيد حسين إبراهيم طه، أعمال المنتدى الدولي: «الإعلام والحق الفلسطيني: خطوات عملية في البناء على مبادرات الاعتراف بفلسطين» الذي نُظِّم «عبر الاتصال المرئي» بالشراكة بين الأمانة المساعدة للاتصال المؤسَّسي، واتحاد وكالات أنباء دول منظمة التعاون الإسلامي.

وافتُتح المنتدى بمشاركة وكالات الأنباء في الدول الإسلامية، والاتحادات الإعلامية الدولية، ورؤساء وكالات الأنباء العالمية، ونخبة من الشخصيات الدبلوماسية والفكرية.

وأصدر المنتدى في ختام أعماله عدداً من التوصيات،

تتضمن إحدى عشرة مبادرة تنفيذية تعزِّز الدعم الإعلامي الإسلامي والدولي للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني منها: إنشاء منصة إعلامية تفاعلية متخصصة؛ بالرصد والتوثيق للحراك الدولي والشعبي، فيما يتعلق بالالتزام بالقرارات الدولية ذات الصلة بالقضية الفلسطينية، ونشر تقارير دورية موثَّقة حول ذلك، وتكثيف النشر الإعلامي حول المبادرات والإعلانات التي تصدر عن مختلف الدول حول العالم بشأن الاعتراف بفلسطين، وتقديم هذه الإعلانات بصورة إيجابية، وإطلاق مدونة إلكترونية للمصطلحات الإعلامية المتداولة حول كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، تحدد المصطلحات المضلِّلة التي يشيع استخدامها في السرديات الإعلامية نحو القضية الفلسطينية، وما يقابلها من مصطلحات دقيقة تستند إلى المرجعيات الدولية، إضافة إلى الإعلان عن مبادرة «إعلاميون من أجل السلام»، تضم متخصصين ونشطاء من مختلف أنحاء العالم؛ لبناء استراتيجية إعلامية شاملة تتضمن فعاليات وحملات وأنشطة تعزِّز مسار السلام والحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية.

وشملت المبادرات عقد منتدى إعلامي دوري في إحدى العواصم العالمية؛ لمناقشة الخطوات العملية لدعم القضية الفلسطينية إعلامياً، وتنسيق التحرك المشترك في هذا الشأن، وإطلاق فرع خاص في «جائزة اتحاد وكالات الأنباء الإسلامية» التي أُعلن عنها في نوفمبر الماضي، لتكريم أفضل الأعمال الصحفية التي تدعم القضية الفلسطينية، وتسهم في نشر الوعي الصحيح بشأنها، وإسناد ودفع الجهود الدولية الرامية إلى حلها.

وتضمنت التوصيات تعزيز التعاون والتنسيق بين الأذرع الإعلامية للمنظمات الدولية المعنية بالقضية الفلسطينية، مثل منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، في التوعية الإعلامية بالقضية الفلسطينية، وتنظيم برامج وأنشطة

د. العيسى:
ما يعانيه الشعب الفلسطيني سيبقى محفورًا في كل ضمير حيّ، وشاهِداً على مستوى جدية المجتمع الدولي في نصرة المظلوم وردع الظالم

نسعى لأن يكون هذا المنبر منصّة فاعلة للضغط باتجاه إجراءات قوية وحازمة لوقف الجرائم المروعة بحق الشعب الفلسطيني

مصمَّمة لهذا الغرض، والعمل على تكثيف الرصد الإعلامي للتصريحات المسيئة للشعب الفلسطيني التي تصدر عن بعض المسؤولين الإسرائيليين وأحزاب اليمين المتطرف في إسرائيل، وإظهار ما تمثله هذه التصريحات من انتهاك لمواثيق حقوق الإنسان الدولية.

وافتتح معالي الأمين العام للرابطة أعمال المنتدى بكلمة أكد فيها أن التغطية الإعلامية المِهنية والموضوعية للأحداث الدامية في غزة، أصبحت أحد المرتكزات التي أحيت النقاش الدولي حول ضرورة المسارعة بالحل العاجل والعادل والشامل للقضية الفلسطينية.

وجدد فضيلته التشديد على أن ما يعانيه الشعب الفلسطيني من كوارث فاجعة واعتداءات صارخة، سيبقى محفورًا في وجدان كل ضمير حيّ، وشاهدًا على مستوى كفاءة المجتمع الدولي في نصرة المظلوم وردع الظالم، وإرساء معايير العدالة الدولية، منوِّهاً بالسعي لأن يكون هذا المنبر منصّة فاعلة للضغط باتجاه إجراءات قوية وحازمة لوقف الجرائم المروعة بحق الشعب الفلسطيني.

وشـدَّد د. العيسـى على أنَّ الإعلام -بوسـائله المختلفة وتقنياته الحديثة- له دورٌ مهمٌّ في الإسهام بفاعلية نحو الأخذ بسفينة عالَمنا لشاطئ نجاته.

وأشـار إلـى أنه منذ بـدْء أحداث غزة ووسـائلُ الإعلام المِهنية والصادقة تؤدي دوراً مهمّاً وبارزاً في تعرية جرائم العـدوان الإسـرائيلي، وتقـديم صورة مِهنيـة صادقة لمَا يَجـري على المسـرح الدامي من انتهـاكاتٍ ظالمةٍ في حق الشعب الفلسطيني.

وأكد د.العيسـى أن هذه الخُطـوات الإيجابية والثمَرات الإعلاميـة الناجحـة، تزامنَـت معهـا تحـرّكاتٌ عربيـة إسـلامية مكثّفـة، قادَتهـا اللجنـة الوزاريـة المكلَّفـة مـن قِبل القمّة العربية الإسـلامية المشـتركة، والتي ترأَّستها المملكـة العربيـة السـعودية، حيـث عملَـت اللجنـة علـى حَشْـد الدعـم الدولـي مـن أجل إنهـاء الحرب فَـورًا في غـزّة، وبحْـث الخُطـوات الملموسـة والعمليـة لتنفيذ حَلٍّ الدولتين، وإنهاء الصراع في المنطقة.

وثمَّن معالي الدكتور العيسـى عالياً، باسم رابطة العالم الإسـلامي، وباسـم علمـاء الأمّـة ومفكّريهـا والشـعوب المسلمة المنضوية تحت مظلّتها الجامعة، الجهودَ الكبيرة التي يبذلها خادم الحرمين الشـريفين الملك سـلمان بن عبدالعزيـز آل سـعود، وسـمو وليّ عهـده الأمين، رئيس مجلـس الـوزراء، صاحـب السـمو الملكي الأميـر محمد بن سـلمان بن عبدالعزيز آل سـعود، يحفظهما الله، من أجـل نُصرة القضية الفلسـطينية، والوقـوف بحزم إزاءَ الجرائم المروّعة في غزّة، والتي ظهرَت من خلال القِمم التاريخيـة التي اسـتضافتها المملكة العربية السـعودية، لتوحيد الرأي العالمي في شـأن حلّ القضية الفلسطينية بشـكل دائـم وعـادل، وتفعيـل المبـادرة العربيـة حيالها، وإحياء مسار السلام في المنطقة.

عقـب ذلـك ألقـى معالـي الأمين العـام لمنظمـة التعاون

الإسـلامي، السـيد حسـين إبراهيم طه، كلمـة افتتحها بالتشـديد على أهمية انعقاد مثل هذا المنتدى لتكريس التعاون في خدمة قضية فلسطين والقدس الشريف.

وتطرق معاليه في كلمته إلى أهمية دور وسـائل الإعلام في توثيق انتهاكات سلطات العدوان الإسرائيلي للقوانين الدوليـة والإنسـانية، وعـدم تورعهـا عـن ارتـكاب كافة أشكال العنف بشكل ممنهج ضد الشعب الفلسطيني.

وأشـار طـه إلـى أهميـة تدويـل القضيـة الفلسـطينية، والعمـل المدروس من خلال المؤسسـات واللجان الدولية المعنيـة في سـبيل الحصـول على اعتراف دولـيٍّ بالدولة الفلسـطينية، وفـق خطة نابعـة من رؤيـة دقيقة تُفضي إلـى حـل الدولتين بناءً على قـرارات الأمم المتحدة ذات الصلة.

وشـدّد معاليـه علـى ضـرورة التدخل الهادف في سـبيل إنهـاء الاحتـلال الإسـرائيلي، وبالتالـي إسـدال السـتار على الحقبة الاسـتعمارية كلها، وتجنّب الصمت على ما يجـري في فلسـطين المحتلـة، والمبادرة لاتخـاذ خطوات لترسيخ السلام.

بـدوره أكـد المشـرف العـام علـى الإعـلام الرسـمي في دولـة فلسـطين، معالـي الوزير أحمد عسـاف أنَّ موجة الاعترافـات الأخيـرة بالدولـة الفلسـطينية، والمقصـود اعترافات كل من إسبانيا وإيرلندا والنرويج وسلوفينيا، تمثـل صحوة لرفض العالم للوحشـية الإسـرائيلية التي تمـارس بشـكل منفلـت في قطاع غـزة والضفـة الغربية والقدس الشرقية.

وأشـار إلـى أنه في السـياق ذاتـه تأتي قـرارات محكمة العـدل الدولية، ومحكمـة الجنايات الدولية، فقد انتهى الزمن الذي يمكن أن تفلت فيه إسـرائيل من المحاسـبة والعقـاب، كمـا لم يعُد مقبولاً أن تسـتمر سياسـة الكيل بمكيالين.

وقـال عسـاف: إن مـا يجري في فلسـطين الآن هو نكبة جديـدة، وإلا ماذا يمكن أن نطلق على التدمير الشـامل لقطـاع غـزة؟ علـى حرب الإبـادة الجماعية، مـا يقارب أربعين ألف شهيد، ومائة ألف جريح من بينهم عشرات الآلاف الذين أصبحوا بإعاقات دائمة.

وأكد الوزير الفلسطيني أن الإعلام بكل أدواته ووسائله، له دور حاسم في عالم اليوم، وأنه -وبالتحديد ما يتعلق بالقضية الفلسطينية- يمكنه أن يصنع الفارق، فجوهر الصراع هو على الرواية، وهو صراع صعب ومعقد؛ لأنه متداخل مع ثقافات وأطماع.

بدوره دعا المدير العام لاتحاد وكالات أنباء دول منظمة التعـاون الإسـلامي (يونا)، الأسـتاذ محمد بـن عبدربّه اليامـي إلـى اسـتثمار المبـادرات الدوليـة للاعتـراف بفلسـطين ومواكبتهـا بخطـاب إعلامي يعززهـا، ويبرز أهميتها في إنهاء الصراع وإحلال السلام.

وتضمـن المنتـدى عـددًا مـن حلقات النقـاش التي بحث خلالها عددٌ من خبراء الإعلام وقادة اتحاداته الدولية، جملـةً مـن المحـاور والقضايـا، بما في ذلـك «الخطوات العمليـة في التعـاون الإعلامي لدعم مبادرات الاعتراف بدولة فلسـطين»، و«المصطلحات الإعلامية ودعم الحق الشـرعي للشـعب الفلسـطيني»، إضافـة إلـى «صحافة السلام وتعزيز دور الإعلام في حل الأزمات الدولية».

طه:
على وسائل الإعلام الدولية تحرّي الحقيقة وتجنّب الوقوع في مصيدة المواقف السياسية

عساف:
يمكن للإعلام أن يصنع الفارق في القضية الفلسطينية

بحضور ١٦٠٠ شخصٍ بين وزراء وأكاديميين وطلاب جامعات

د. العيسى يحاضر في مكتبة الإسكندرية

■ الرابطة - الإسكندرية:

بحضور أكثر من ١٦٠٠ شخصٍ بين وزراء ومسؤولين وأكاديميين وأساتذة وطلاب من الجامعات المصرية، ألقى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، محاضرةً في القاعة الكبرى لمكتبة الإسكندرية في جمهورية مصر العربية، تحدَّث فيها عن «الشرق والغرب»، متناولاً العلاقة التاريخية بينهما، وعدداً من النظريات والأطروحات في سياقهما التاريخي.

وبعد المحاضرة انطلقت أعمال المؤتمر الدولي حول المبادرة الأممية التي قدمتها رابطة العالم الإسلامي بعنوان: «بناء جسور التفاهم والسلام بين الشرق والغرب»، وقد نظَّمت المؤتمرَ رابطةُ الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الإسكندرية وجامعة العلمين الدولية، وذلك لبحث دور الجامعات في تعزيز تلك المبادرة.

وعُقِد المؤتمر بالتزامُن مع مرور عام على إطلاق المبادرة في مقر الأمم المتحدة، بمشاركةٍ مَن رئيسها وأمينها العام، وكبار قياداتها، وحضورٍ رفيع من القيادات الدينية والدبلوماسية الدولية.

وتواصلت أعمالُ المؤتمر الدولي بجلسات حوار لعددٍ من الأكاديميين حول مبادرة بناء الجسور، والمقترحات العمليَّة لتفعيل دور جامعات العالَمَين العربي والإسلامي في دعمها.

عقب ذلك اصطحب معالي رئيس مكتبة الإسكندرية، الدكتور أحمد زايد، معاليَ الشيخ د. العيسى في جولة بمكتبة الإسكندرية التاريخية، وقدَّم درع المكتبة هديةً لمعاليه.

كما تسلَّم الدكتور العيسى مفتاح محافظة الإسكندرية؛

د. العيسى يتسلَّم مفتاح الإسكندرية كأعلى وسام في المدينة

أعلى وسام لمدينة الإسكندرية، في حفل استقبال رسمي أقامه معالي محافظ الإسكندرية، اللواء محمد الشريف في مقرّ المحافظة، تقديرًا لجهوده الدولية الدينية والإنسانية.

ويُمنَح المفتاحُ لكبار الشخصيات من القادة السياسيين، والرواد الدينيين، ومَن قدَّموا خدمات جليلة لأوطانهم وعالمهم، ويعكس تصميمُه الفريدُ عراقةَ مدينة الإسكندرية وامتدادَها التاريخي والحضاري.

ليشهدوا منافع لهم...

بقلم: د. هشام محفوظ ـ مصر

لا مجال لإنكار عظمة وجلال المنافع الروحية والمادية في قول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله... الآية».

هكذا كانت البداية أمرًا من الحق – سبحانه وتعالى – لأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم – عليه السلام – أن يؤذن في الناس بالحج وأن يدعوهم إلى زيارة بيت الله الحرام.

وقد تساءل الخليل إبراهيم عليه السلام:

إلهي وما يبلغ صوتي؟!

فكانت الإجابة: عليك النداء وعلينا البلاغ.

وأذن إبراهيم، وسعى الناس من كل فجاج الأرض وسبلها إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة يهتفون ضارعين لله عز وجل: «لبيك اللهم لبيك» فاستيقظ الكون كله على أصداء هذا النشيد الإيماني الخالد الجليل الذي يعلن الوحدانية لصاحب الملك والملكوت الحي الذي لا يموت، الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد..

وتلاقت هتافات الحجاج مع تسبيحات الكون ليعيش ضيوف الرحمن في مشهد إيماني يبلغ ذروته العليا يوم أن يتجلى الله عليهم في يوم عرفة ليباهي بهم ملائكته؛ فيلمسون بالحس والروح وبالنفس معنى قوله عز وجل: «تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم».

(ليشهدوا منافع لهم)

وهنا، ونحن في عصر الإنترنت والتقدم العلمي المذهل، نتساءل:

ما تلك المنافع التي يشهدها ويحصل عليها كل مستجيب لهذا النداء الإلهي الجليل؟

إننـا حينما نتعمق هذه الكلمـات الربانية التي أمر فيها الحق تبارك وتعالى خليله إبراهيم – عليه السلام – أن يؤذن في الناس بالحج، سنجد في هذه الكلمات الربانية تحديدا لغايتين عظميين لفريضة الحج:

أولاهما: أن ينتفع الناس.

الأخرى: أن يذكروا اسم الله.

أما عن الأولى حيث انتفاع المستجيبين للنداء بالسعي إلى بيت الله الحرام من شتى بقاع الأرض، شعثا غبرا، يرجون رحمة الله، على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة مرددين لله عز وجل «لبيك اللهم لبيك» فتكون هذه التلبية أشبه بكلمة السر للسماح بالدخول في ضيافة الرحمن، فيجبر كسيرهم، وييسر عسير أمورهم، ويغفر لهم الذنوب، ويستر العيوب، ويمحق السيئات، ويضاعف لهم الحسنات.

ويقول الحق تبارك وتعالى لملائكته:

«انظروا: هؤلاء عبادي، جاؤوني شعثا غبرا، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي...

أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم».

تلك منافع روحية سامية تجعل الحاج يعود إلى دياره بعد هذه الرحلة النورانية المباركة كيوم ولدته أمه، بلا ذنوب.

أيضاً هناك منافع دنيوية تتحقق من تلك الرحلة المباركة إلى بيت الله الحرام..

فالحج – برؤية اجتماعية إنسانية سياسية – هو المؤتمر العالمي للمسلمين. ففي أيام الحج تكون هناك وقفات مع النفس لمراجعة صفحات كتاب واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والديني والسياسي..

وأين نحن من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي الشريف الصحيح الذي أخرجه أحمد وأبو داود في سننه، والبخاري في تاريخه، وذكره الحافظ في فتح الباري:

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلَّة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت».

بسعة صدر وسماحة تتدارس الأمة واقعها بصدق مع الله ومع النفس، في ضوء هذا الحديث الشريف، لترى هل تمضي إلى أمام أم إلى غير ذلك؟

فأيام الحج موسم بل مؤتمر سنوي لأبناء خُمس خريطة العالم وخمس سكانه لمراجعة صورة ومكانة المسلمين في هذا العالم المترع بالتحديات من كل جانب.

لقد أراد الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام أن تتدارس في هذا المؤتمر السنوي ما هو حاصل لهذه الأمة على خريطة العالم، وما ينبغي أن تكون عليه من خير ومكانة لائقة، في ضوء الأحداث العالمية الراهنة. فالواقع العالمي الراهن تتلاشى فيه الكيانات الصغيرة، وتنمو فيه التكتلات الكبيرة.

هو مؤتمر يمكن أن تتدارس فيه الأمة أمورها، لتتعرف على موقع أمتنا من الدنيا في هذا القرن، وقد انصرم منها عقدان مليئان بالأحداث المذهلة، والتقدم والتفوق التقني والعلمي وما نشهده من مذهلات «الحاسب الآلي» والذكاء الاصطناعي وشبكات الإنترنت، وكل ما نتابعه من منجزات تقنية وتكنولوجية.

هذا المؤتمر العالمي ليشهد المسلمون من كل مكان في العالم منافع لهم، ففي هؤلاء العلماء الثقات في جميع مجالات علوم العصر.

لقد تحدث القرآن الكريم عن أمة الإسلام بعبارة قرآنية واضحة في التوصيف: «خير أمة أخرجت للناس». وللأمانة العلمية لقد قيد الحق عز وجل هذه الخيرية بدور قدري يتحتم على هذه الأمة القيام به لتكون «خير أمة» بين الأمم. هذا الدور هو «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

اللهم وفقنا جميعاً لحج بيتك الحرام، وتقبل منا صالح الأعمال وهيئ لنا جميعاً – للبشرية كلها – من أمورنا رشدا.

ينظم أداء الشعيرة وييسر إقامتها

أثر فقه «الأولويات» على تيسير الحج

بقلم: د. حسن عزوزي - تونس

يعتبر فقه الأولويات من أبرز مجالات الفقه التي تحتاج إلى عناية واهتمام في عصرنا الحاضر، إذ به تتبين مراتب الأحكام ودرجاتها وما الذي ينبغي ترجيحه أو تقديمه من المصالح، أو تأخيره من المفاسد عند التعارض، وذلك للخروج من الضيق إلى السعة، وجعل الأحكام تدور مع المصالح والمفاسد وجودًا وعدمًا وسعةً وضيقًا.

وقد قرر علماء الأصول أن موقف الشريعة في مورد التعارض بين المصالح والمفاسد هو ترجيح المصلحة الكبرى على الصغرى، والكثيرة على القليلة، والعامة على الخاصة...إلخ. وإذا تعارضت مفسدتان يتم مراعاة أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما، وتقديم درء المفسدة على جلب المصلحة وذلك بالموازنة والترجيح للأخذ بأقرب الآراء إلى الصواب وأولاها بتحقيق مقاصد الشرع.

وبالنسبة لشعيرة الحج تتأكد المعرفة بفقه أولويات المناسك وما يرتبط بها بصورة أبلغ وأجدى، ذلك لأن مسألة حسن تنظيم أداء هذه الشعيرة وتيسير إقامتها على أحسن الوجوه إنما تتم وفق ما تقتضيه الكليات القاضية بضرورة حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال.

وإذا كان مفهوم فقه الأولويات مفهوما معاصرا وجديدا لم يكن معروفا لدى العلماء الأسلاف، فإن مضمونه كان مبثوثا في كتبهم ومجالسهم العلمية، وبالنسبة لموضوعنا يمكن تعريف فقه أولويات الحج بأنه العلم بدرجات ومراتب مناسك الحج وما يتعلق بها، وتبين مستويات الفهم في تقديم بعضها عن بعض استنادا إلى مقاصد الشريعة.

وتبدو الحاجة ماسة إلى استيعاب هذا الفقه ونشره بين الحجاج نظرا لكثرة التداخل والتزاحم في مواضع مناسك الحج وأعماله، خاصة في ظل التعقيد والاتساع الحاصلين في النوازل والوقائع المستجدة في كثير من القضايا التي تحتاج إلى إعمال الاجتهاد المصلحي المقاصدي القائم على دفع المفاسد وجلب المصالح عند تعارضها وتقديم الأهم على المهم والفاضل على المفضول.

التأصيل لفقه الأولويات في الحج

لقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تدل على أهمية اعتبار فقه الأولويات في الحج، منها قوله تعالى: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون» (التوبة: ١٩-٢٠). فهذه الآية الكريمة تنص على فقه الأولويات بين بعض الأعمال المتعلقة ببيت الله الحرام وبالحج من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين الجهاد في سبيل الله، بمعنى أن الآية تشير إلى أولوية الجهاد في سبيل الله على السقاية والعمارة، وأنه أفضل منهما منزلة وأعلى درجة.

ومن ذلك قول الله تعالى: «واذكروا الله في أيام

يعتبر الحج من العبادات التي خصها الشارع الحكيم بشرط الاستطاعة نصا، وذلك في قوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا»

معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون» (البقرة: ٢٠٣)، ففي الآية إشارة إلى أن التأخر إلى اليوم الثالث من أيام التشريق أولى من التعجل في اليوم الثاني، فهناك إباحة الأمرين لكن التأخير أفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وكان الصوم أفضل لقوله تعالى: «وأن تصوموا خير لكم» (البقرة: ١٨٤).

ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدالة على اعتبار فقه الأولويات في الحج، ما جاء على سبيل تقديم التيسير والتخفيف ورفع الحرج على التشديد على الحجاج، وهو ما يعكسه حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل يوم النحر وهو واقف عند الجمرة فقال: يا رسول الله إني حلقت قبل أن أرمي فقال: ارم ولا حرج، وأتاه آخر فقال: إني ذبحت قبل أن أرمي، قال ارم ولا حرج، وأتاه آخر فقال: إني أفضت إلى البيت قبل أن أرمي قال: ارم ولا حرج، قال: فما رأيته سئل يومئذ عن شيء إلا قال: افعلوا ولا حرج.

ومن ذلك أيضا حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، وهو بمكة وأراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت بالبيت وأرادت الخروج فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون، ففعلت ذلك فلم تصل حتى خرجت.

وهنـاك أيضا الحديث المشـهور عـن عبد الله بن عباس رضـي الله عنهمـا أن امرأة مـن جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحـج حتـى ماتت، أفأحج عنها؟ قـال: نعم، حُجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء.

فهـذه النصـوص جميعهـا تـدل دلالـة واضحـة على أن أسـلوب التيسـير والتخفيـف في الحج مقـدم ومطلوب، وأن استيعاب فقه الأولويات في الحج يعين الحجاج على أداء نسـكهم بوعـي وبصيرة وبأمـان واطمئنان، وهو ما يجلـي لنـا أهمية مراعـاة فقه الأولويات عنـد الاجتهاد بـين مسـائل الحـج ولا سـيما المعاصرة منهـا بما يحقق المقصود الشرعي من أحكام الحج وأعماله.

فقه الأولويات وقضايا تنظيم الحج

إذا كان العلمـاء قـد اتفقـوا علـى تقسـيم أحـكام الحج وأعمالـه إلـى أركان وواجبات ومندوبات وتقسـيم ما تم النهي عن فعله في الحج إلى محرمات ومكروهات، فإن ثمة قواعد عديدة تتعلق بتصنيف أولويات أحكام الحج علـى مسـتوى الطلـب أو الترك، كما أن هـذه الأولويات إنمـا تتغيـر بتغيـر الأزمـان وحسـب تغيـر الأحـوال والظروف، بمعنى أن الحكم الشرعي قد تتغير أولوياته بتغيـر الأحـوال التـي يكون لهـا تأثير على هـذا الحكم، فبـدل أن يطبـق علـى هذه الصفة قـد يطبق على صفة أخـرى، وقـد يكون التغيـر متعلقا بما ينبغـي تقديمه أو تأخيره من الأحكام.

كما أن هذه الأولويات قد تتغير اسـتنادا إلى العرف أو المصلحة المرسـلة حسـب الأزمان والأحوال، إذ بتغيرها تتغيـر احتياجـات النـاس ومصالحهـم، وبنـاء على هذا التغيـر يتبـدل أيضـا العـرف والعـادة فتتغيـر الأحكام. وهـو ما يبينه الإمام القرافي بقوله: «إن القاعدة المجمع عليهـا أن كل حكـم مبنـي على عـادة، إذا تغيـرت العادة تغيـر (الفـروق ١١٣/٤). وهـذه القاعـدة لهـا علاقـة وطيـدة بأحكام الحـج وأعماله المختلفـة وكل ماله صلة بالأعـراف والمصالح من أحكام الحج مثل قضايا تنظيم الحجاج على مسـتوى أعدادهم وتفويجهم والقيام على خدمتهـم وغيـر ذلك مما لم يكن معروفا من قبل، حيث لم تكن السلطات السعودية فيما قبل تتدخل في تحديد نِسب أعداد الحجاج من كل بلد من بلدان المعمورة، لكن تَغير الحكم نظرا لازدياد أعداد الحجاج بشكل كبير مع محدودية الطاقة الاستيعابية للمشاعر في البلد الحرام فاقتضـى النظـر السـديد وفـق فقـه الأولويـات تحديد الأعداد والنِسب من كل بلد وفق معايير موحدة تحقيقا للأهـداف الشـرعية مـن شـعيرة الحـج، ونفـس الأمـر بالنسـبة لمشـاريع التوسـعة والتيسـير لمختلـف الأماكـن المقدسـة التـي يمـر منها الحاج، وهي مشـاريع توسـعة هائلـة لا يـزال العمل على تحقيقها قائما بشـكل دؤوب وتخطيـط دقيـق ومحكـم. كمـا أن تحديد مـدة فاصلة ومتباعـدة بـين الحجـة الأولـى الفريضـة والتـي تليهـا وتكـون نافلة يعتبر أمرا مهما يقتضيه النظر المقاصدي في هذا المقام.

فالحج النافلة إذا كان سـيؤدي إلى مشـكلة الزحام فإن الأخـذ بفقـه الأولويات يقتضي تحديد مـدة فاصلة قد تصـل إلى سـنوات بين الحجـة الأولى والتـي تليها وهو أمـر حاصـل وقائـم اقتضاه العمـل بالمقاصـد والمآلات، فكثيـر مـن النـاس يحرصـون علـى أداء الحـج النافلـة باسـتمرار ممـا يشـكل عبئـا سـنويا علـى تنظيـم الحج بسـبب كثـرة الزحـام، فلو قدرنـا أن نصـف مليون حاج ممن سـبق لهـم تأدية الفريضة قـد أحجموا عن التنفل بالحـج لَتبين لنا حجم التخفيف من المشـكلات العديدة التي تسببها كثرة أعداد الحجاج، وإذا كان درء المفسدة مقدمـا علـى جلـب المصلحـة فلا شـك أن درء مفسـدة إلحاق الضرر بالمسـلم مقدم على جلب مصلحة التطوع

بالحـج، كمـا أن المصلحـة العامة مقدمة علـى المصلحة الخاصـة، والتطـوع بالحج مصلحة خاصـة لا ينبغي أن تقدم على المصلحة العامة للمسلمين والمتمثلة في حفظ ضرورياتهـم وتحقيـق أمنهم، مع العلم بـأن الأخذ بفقه الأولويـات في مسـألة تنظيم الحجاج إنمـا يتم من أجل تلبية تطلعات أبناء الشـعوب الإسلامية المتشوفين لأداء مناسـك الحج والعمرة والذين تزداد أعدادهم سنة بعد أخرى.

فقه الأولويات ومبدأ التيسير

يعتبـر الحـج من العبـادات التي خصها الشـارع الحكيم بشـرط الاسـتطاعة نصا، وذلـك في قولـه تعالى: «ولله علـى النـاس حـج البيت مـن اسـتطاع إليه سـبيلا» (آل عمران: ٩٧). ولذلك نجد أحكام الحج تتسـم بالتيسـير والتخييـر، فهـو واجـب علـى التراخـي ولـم يفـرض إلا مـرة واحـدة في العمـر على المسـتطيع. والمحـرِم بالحج مخيـر فيه بـين ثلاثة أنواع من النسـك: التمتع والقران والإفـراد. ونجد التيسـير عن طريـق التخيير كذلك في نوع الفدية، قال تعالى: « ... فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسـه ففدية من صيام أو صدقة أو نسـك...» (البقـرة: ١٩٦). ونجـد التيسـير كذلك في قولـه تعالى: «فما استيسـر من الهدي» وفي قوله سـبحانه: «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسـبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة». (البقرة: ١٩٦).

ومـن مظاهـر التيسـير في الحـج الدخـول إلـى الحـرم مـن الجهـة المتاحـة بيسـر، وإذا كان الفقهـاء قديما قد استحبوا الدخول من الثنية العليا التي دخل منها رسول الله صلـى الله عليه وسـلم فـإن اليوم مع صعوبة تحري مدخـل معـين وجهـة بعينهـا يبقى القـول بالدخـول من جهـة الثنية العليا مؤديا إلى التزاحم وإيقاع الحجاج في حـرج شـديد، فالأولـى للحاج أن يدخـل الحرم من جهة قدومه حيث تيسر وعليه أن يختار الأماكن الأقل تدافعا

> كان العلماء قد تباينت أقوالهم في مسألة الأخذ بما هو أيسر وأخف من كل مذهب بين مانع ومجوز ومقتصد في ذلك يجيزه في حالة الشدائد

وزحاما لما في ذلك من التيسير والتخفيف.

ومـن بـاب التيسـير أيضـا إنابـة جهـات مختصـة بذبح الهـدي وتوزيعـه، فالأولـى في زماننـا مـع كثـرة أعـداد الحجاج وضيق الأماكن وكثرة الأضاحي أن يدفع الحاج قيمة الهدي مسبقا إلى الجهات والشركات المختصة في الديار المقدسـة التي تقوم بدورها بشـراء الهدي وذبحه في أيـام النحـر وتوزيعـه نيابـة عـن الحـاج كمـا أنه من الأولـى فيمـن وُكل برمـي الجمرات أن يرمي عن نفسـه وعن غيره في ذات الوقت دون أن يعيد الكرة مرة أخرى تيسـيرا عليـه كما أفتى بذلـك العلماء، لأن المقصود يتم ورفع الحرج يحصل.

وهكـذا يتبـين كيف أن تفعيـل مقصد التيسـير مطلوب في التطبيقـات العمليـة لأحـكام الحج سـواءً تعلق الأمر بالواجبات أو السنن، فما كان يعتبر في السابق أولويات في التطبيـق أصبح اليـوم في ظل تزايد الازدحام وضيق الأماكـن وتفاقـم أعـداد الحجـاج حقـه التأخيـر أخـذًا بمبدأ التيسير ورفع الحرج.

الأخذ من أقوال المذاهب الفقهية توسعة على الحجاج

اختلف فقهاء المذاهب الفقهية الأربعة في حكم مسـائل كثيرة تتعلق بأعمال الحج ومناسكه بين قائل بالفرضية أو الوجـوب أو السـنية أو النـدب، ولكل دليلـه وتأصيله الشرعي لذلك.

وإذا كان العلماء قد تباينت أقوالهم في مسألة الأخذ بما هو أيسر وأخف من كل مذهب بين مانع ومجوز ومقتصد في ذلك يجيزه في حالة الشدائد، فإنه في بعض الحالات الشديدة على الحاج إذا ما بقي على تقليده لمذهبه الذي يسير عليه يذهب بعض العلماء إلى أنه من باب حقوق العباد والحفاظ عليها ومن باب اعتبار فقه الأولويات في المناسك لا مانع من أخذ الحاج بما هو أيسر له وفيه توسعة على الغير إذا اضطر لذلك، وبخاصة في حالات الزحام التي لا يطيقها كبار السن والعجزة من الحجاج. ومن أمثلة ذلك مما اختلفت المذاهب الأربعة في مدى فرضيتها أو سنيتها ما تعلق بحكم طواف الوداع ووقت المبيت بمنى وفي المزدلفة ووقت رمي الجمرات وغير ذلك، كما أن من كان حجه حجا نفلا فإنه تكون له أحكام خاصة تختلف عن أحكام حج الفرض، حيث يجوز للحاج المتنفل عند السادة الحنابلة أن يوكل في حجه، في حين أن في حج الفرض لا يجوز الأمر إلا للضرورة القصوى، وعليه فإعمالا لفقه الأولويات فمن الأولى للحاج حجة نفل أن يأخذ بمذهب الحنابلة توسعة على غيره من الحجاج لئلا يزاحمهم فيوكل ببقية أعمال الحج بعد أن يكون قد وقف في عرفة، فينوي بذلك التوسعة على المسلمين جامعا بين خيري الحج والتوسعة على العباد.

ومن ذلك أيضا أن تترك المرأة الحاجة كل ما يؤدي إلى الفتنة بغلبة الظن أو يكون فيه إظهار لنفسها فتترك القيام بذلك، وهذا الترك إما أولوية واجبة أو مسنونة أو مندوبة بحسب الحال، فيكون الأولى لها عدم حرصها على تقبيل الحجر الأسود إذا كانت هناك مزاحمة للرجال وترك الهرولة بين الميلين الأخضرين فتبقى على سكينتها في السير تجنبا لإثارة الفتنة كما نص على ذلك العلماء. والحكمة في كل ذلك كون أمر المرأة في الحج مبنيا على الستر وتجنب مخالطة الرجال درءا للفتنة.

من جهة أخرى نجد أن طواف الإفاضة يوم النحر أفضل، لكن شدة الزحام في هذا اليوم تحدث خللا في الطواف وفي حسن أدائه بسكينة ووقار وطمأنينة في الذكر والدعاء أثنائه، فإذا أُخر يوما أو يومين حتى يخف الزحام كان أفضل، وأمكن أن يتهيأ فيه حسن الأداء مع السكينة والوقار.

وهكذا فإن عدم إدراك فقه الأولويات في الحج قد يفضي إلى عدم التوازن، فتنشأ أسباب تؤدي إلى إفساد النسك أو نقصان الأجر كالجدال والخصومة أثناء أداء المناسك، وهو ما ينبغي الالتفات إليه ومعالجته. فأحكام الشريعة ليس فيها عَنت ولا تشديد على المكلف، وإنما جاءت باليسر والسماحة ورفع الحرج والمشقة عنه، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما».

ختاما يمكن القول بأن حل مشكلة الازدحام في الحج الذي يبقى الرهان الأكبر قد وضعته الجهات المختصة منذ مدة أهم أولوية في سُلم الأولويات، حيث أقامت رابطة العالم الإسلامي سنة ١٤٢٣هـ ندوة مشكلة الزحام في الحج وحلولها الشرعية، واعتمدت إجراءات وخطوات مهمة لحلها، فضلا عن القيام بعدد من المشاريع العمرانية الهادفة إلى التخفيف من مشكلة الازدحام من بناء طرق وجسور وقطار خاص بالمشاعر وبين مكة والمدينة وتوسعة الحرم المكي، وغير ذلك من الخطوات الكبيرة التي ترمي إلى تنظيم أداء شعيرة الحج وتيسير إقامتها على أحسن الوجوه بما يحقق مقصد الشارع الحكيم من تشريعها مع حفظ أمن الحج والحجيج، ولذلك تبرز عظمة الشريعة الإسلامية ومرونة فقهها بما تضمنته من قواعد وآليات فعالة تكفل ثبات المبادئ والمقاصد، وتراعي الظروف والأحوال والإمكانات وتظهر مواسم الحج بالمظهر الديني والحضاري اللائق بأمة الإسلام التي هي خير أمة أخرجت للناس.

«الوقف» في الحج .. رفع للدرجات ومحو للسيئات

بقلم: عبد الحميد محمد الراوي ـ مصر

من المعلوم أن الشريعة اعتبرت الوقف بمثابة المُزنة التي يحتاج إليها الإنسان عند الأوام، فتسابق إليه الخيرون بفرط اللهج للتحلي برواء نور الباري، وتشوفت روحهم إلى المُصافاة واكتسبت أعمالهم أنفس الصفات، لأن الواقف سار في طريق غراء، أرباحه مضاعفة تنير وتضيء مسالك البر، فيجتني ما يريده هو ومجتمعه في الدنيا والآخرة، فكان معلماً اجتماعياً يجتذب أولي النهى والألباب، استدعت من أهل الفروع الضبط والتقعيد، ووُسم بأنه من أهم صور التبرع في النظم الشرعي الإسلامي لسببين اثنين:

السبب الأول: أنه يُزيل حُله الإعواز لما يمثله من تكافل دائم وإحسان مستمر.

السبب الثاني: أنه يؤدي خدمة تصيب كل مرافق الحياة التي يحياها الإنسان.

فالوقف هو المستخرج لخبايا الجيوب لمن طبعه الشح، وسيظل المجرى الرئيس لمناظم الشرف وللتكافل الاجتماعي، والتواد والتراحم بين العباد، فبالوقف يمكن تخفيف ما يثقل على الدولة من أعباء، وبه نبني بيوت الله للمناجاة، وبالوقف نسطر قيم الإنسان المشعرة بخصوصية كينونته، فنساعد في تلبية رغبة الناس إلى أداء مناسك الحج من خلال ما يوقفه الواقف، تلبية

لأمـر ربنـا جل سـلطانه والمتعلـق بفعل الخيـر لحصول الفـلاح في الدنيـا والآخرة للواقـف والموقوف عليه، قال تعالـى: «يـا أيها الذيـن آمنوا اركعوا واسـجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» (الحج:٧٧).

وأي خيـر أعظـم وأي كنـز أثمـن مـن ذلكم الـذي يربي الشـوق والحنـين والتطلـع إلـى زيـارة تلكـم الأماكـن المقدسـة، إنه سـير في ترسيخ أسـاليب تمتين العلاقات الاجتماعية، ونشر القيم الأخلاقية التي يغترفها الحاج من أداء شـعائر الحج التي تسـكّن الآلام وتبعث الآمال. إنـه خيـر ثمين يقدمـه الواقف طاعـة للّه، وتأكيداً على النسـق الاجتماعي الإنسـاني، وسـعياً لنيل البـر النافع لدنيـاه وآخرته، قال تعالى: «لـن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» (آل عمران:٩٢).

ولا شـك أن الوقـف مـن فعـل الخيـر قطعـاً، وهو عمل يصـل الفـلاح في الدنيـا بنظيـره في الآخـرة، فعـن أبـي هريرة رضي اللّه عنه قال: «من احتبس فرساً في سبيل اللّه إيماناً باللّه وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»، (رواه: بن ماجة).

ففـي معجـم الأدبـاء: أن الوزيـر علـي بـن عيسـى بـن الجراح أشـار علـى المقتدر أن يقف العقـار ببغداد على الحرمـين وغلتهـا ثلاثـة عشـر ألـف دينار في كل شـهر والضياع الموروثة بالسـواد وارتفاعها نيف وثمانون ألف دينار سـوى الغلة ففعل ذلك وأشـهد على نفسه الشهود وأفرد لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوان البر.

كما تذكر لنا كتب التاريخ: أن سقاية الحاج كانت موضع تنافس المسـلمين، وقد جعلت بعد الإسـلام إلى العباس بن عبد المطلب حين سـألها رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم، وقـد شـجعهم عليـه الصـلاة والسـلام، وقـال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح» ثم قال: «لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه» يعني عاتقه، وأشـار إلى عاتقه (صحيح البخاري).

وفي كتاب أخبار مكة للأزرقي أمثلة للوقف على الحج: ومـن ذلـك ما أوقفته أرملة بنـت عبد اللّه بن عبد الملك بـن مـروان داراً بمكـة يسـقى فيهـا الشـراب للحجيـج، ومـا أوقفـه عمـر بن الخطـاب من داره التـي بمكة على الحجـاج، إضافـة إلى تصدق عمر بن عبد العزيز بداره على الحجاج والمعتمرين.

ومن هنا فإن الوقف على الحج هو إسهام لرفع الدرجات ومحـو السـيئات، للواقف بما أوقفه وللحـاج بما قام به وأداه، قـال عليـه الصلاة والسـلام: «من أتى هذا البيت فلـم يرفـث ولم يفسـق رجع كمـا ولدته أمـه»، (صحيح مسـلم) فالحاج بجانب ذلك سيتعلم قيماً عظيمة تفيده هو والمجتمع، ويستفيد منها الواقف عملياً، فالحج يعلم قيمة الصبر في الحياة، والتشبع بروح الأمل لبناء الذات والمجتمع، ويذكر الواقف والحاج بمشـاهد يوم القيامة، حسـاباً وجـزاء كمـا قـال تعالـى: «يومئذ يصـدر الناس أشـتاتاً ليروا أعمالهم»، فليتصـور الواقف أن الحج بما فيـه من أعمـال وأدعية وأذكار وشـعائر تخاطب الذات يقطـف مـن ثمارهـا ما شـاء اللّه، فكان الوقـف خير ما يمثـل الوعاء الـذي يحتوي رؤية الإسـلام المجتمعية من خلال الأمور التالية:

الوقـف على الحـج هو امتثـال لتحقيق عبودية الله عز وجل

فكـون العبـد يوقف ما يملك، فإن ذلك دليل على إدراكه لعبوديـة اللّه عـز وجـل بمفهومهـا الحقيقـي، وتأثـراً بالثـواب الذي يكسـبه من خـلال الوقف ابتغـاءً لمرضاة اللّه عـز وجـل، لن يتمكن الإنسـان أن يخـرج المال الذي ألفـت النفـس الحـرص عليـه، وتقاتـل مـن أجلـه، إنهـا عبوديـة واسـعة تصيـب كل مناحـي الحيـاة وشـؤونها، مـن العلاقـات الاجتماعيـة والأسـرية، والقضائيـة

والاقتصادية والسياسية.

الوقف على الحج تقدير لشوق المسلم ورغبته لزيارة الأماكن المقدسة

فلا يوجد مكان تتعلق به القلوب وترفرف الأفئدة عند سماعه إلا تلكم الأماكن التي وطئها النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم وقدسها القرآن العظيم والتي استمدت عظمتها من الأعظم رب العالمين بالطواف، أو بالسعي أو بالوقوف.

الوقف على الحج هو استحضار لأحداث التاريخ التي صنعت المجد للمسلمين

والاستحضار ركن أساسي لبناء الحاضر والتطلع للمستقبل، فالحج هو قراءة مفتوحة محسوسة لسيرة الرسول الكريم وللخلفاء، ففيها يتصور المسلم أهم الأحداث على نحو من التجسد حتى يتمثلها ويجعلها دستوراً يستمسك به ويسير عليه في معاشه.

الوقف على الحج هو استرجاع للقيم التي قد تهون عند البعض، ويغفو عنها الآخر

فالحج ركن إسلامي يحتضن كل القيم التي يرغب فيها الإسلام ويحث عليها، فهو يعلمك الأخلاق والقيم ومنها العفة وكظم الغيظ، وترك الجدال قال تعالى: «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»، (البقرة: ١٩٧)، فالحج فرصة تبث فينا أخلاق الإسلام، ففيه التعاون الذي يحث عليه الإسلام ويجسده الحج في كثير من مناسكه، وفيه مساعدة الآخرين وهو الأمر الذي يرغب فيه الإسلام ترغيباً عظيماً، يقول صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»، (رواه: مسلم).

الوقف على الحج هو استثمار للموسم وللزمن لتأسيس فقه جماعي يبعد عن الأنانية ويمقتها ويحاربها، ويبني قيمة الوطنية الواعية وحب المجتمع.

فالحج يعلم مبدأ المسامحة واحترام الناس بغض النظر عن أجناسهم وأعراقهم.

الوقف على الحج هو إسهام في التنمية

لما يمثله من أداة تحريك لمجموع من القطاعات العاملة في المجال، وأن الرابح في هذه العملية هو من ينفق المال، قال تعالى: «وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون»، (البقرة :٢٧٢)، هذا وإن صور الوقف على الحج قد تأخذ أشكالاً وصوراً متعددة منها:

وقف الكتب: التي تعنى بالأحكام الفقهية التي ترشد الحاج إلى أداء المناسك على الوجه الصحيح.

وقف وسائل النقل: فالمالكية يرون جواز وقف المنافع، فمن استأجر سيارة أو طائرة فله أن يوقف منفعتها للحجاج، سواء كانت منافع مملوكة للواقف أو لغيره حسب الزمان المحدد لمالك المنفعة أو عمره أو عمر العين، وقد يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم: (من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريّه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيامة)، (صحيح البخاري)، لأنه يدخل في ذلك كل وسائل النقل الحديثة.

الوقف على الوعاظ:

للإرشاد وتلقين المناسك وزيادة التوعية، فالله عز وجل يأمر الناس أن يسألوا العلماء، وذلك يقتضي توفير المفتي ودفع مقابل له، وتوفير ما يلزم لأداء المهمة على وجه طيب.

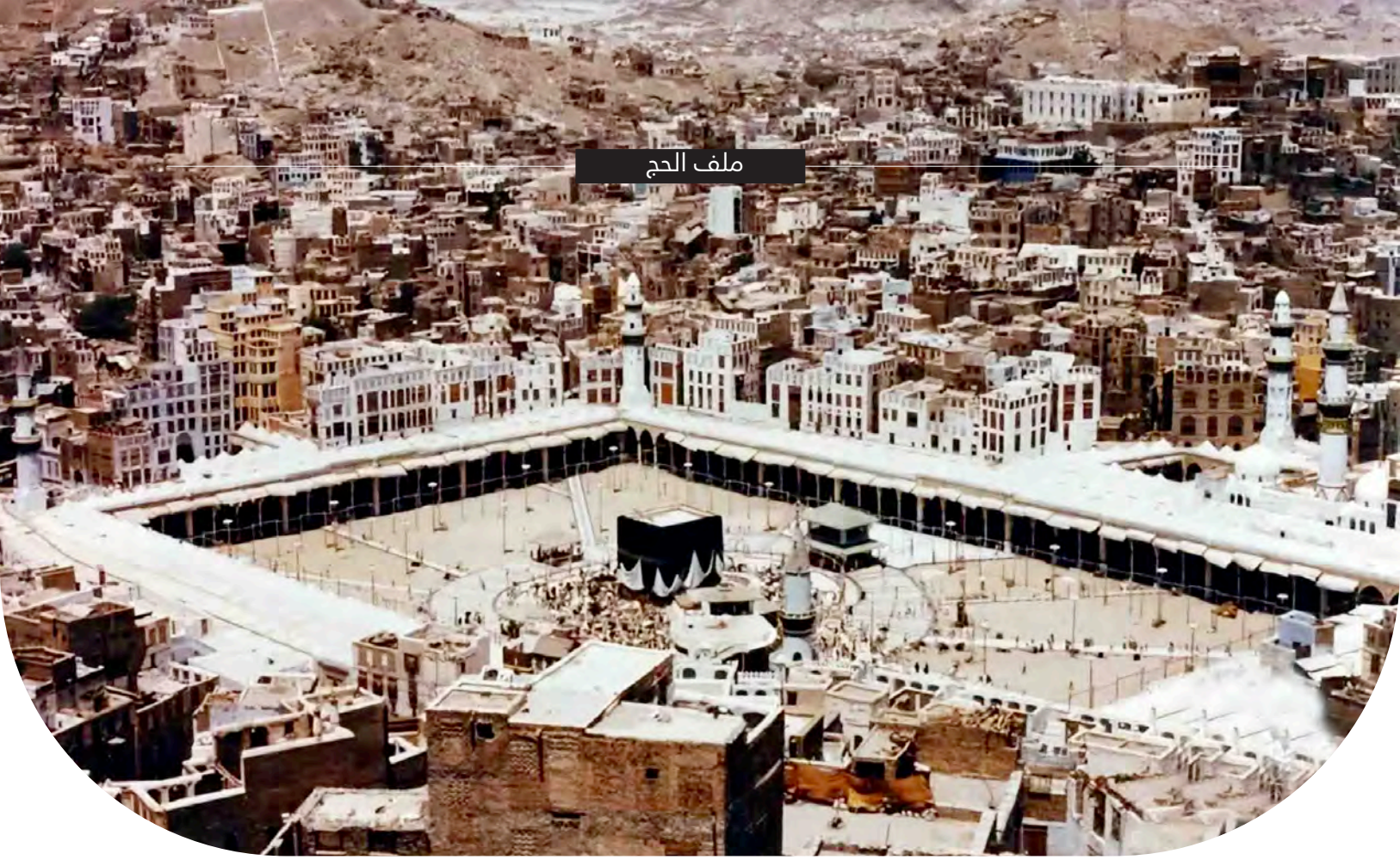

مكة بين «ذاكرتين»

بقلم: د. إبراهيم نويري ـ الجزائر

لمكة المكرمة مكانةٌ أثيرةٌ ومنزلةٌ رفيعةٌ في وجدان الإنسان المسلم، فهي تعني الكثيرَ لكلّ مسلم يرتبط بالقبلة ويتّجه إليها في صلواته المكتوبة والموقوتة خمس مرات في اليوم والليلة، فضلاً عن ذلك فهي منزل الوحي الخاتم، ومهد إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم. على أديمها الطهور نشأ ودرج وترعرع، وفيها شهد الناس له بالصدق والأمانة والعدل والاستقامة قبل الاصطفاء الإلهي له بالرسالة الخاتمة.

ولعلّ أول ما يخطر على بال القارئ في هذا المقام ذاكرة صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم؛ فعندما يسّر الله له فتح مكة في العام الثامن من الهجرة الشريفة، أسرع أبو سفيان يُخبر أهلها بما شاهده من قوة المسلمين وتماسك صفوفهم، بعد أن رأى بأم عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء، وفيها المهاجرون والأنصار، كما أخبرهم بالأمان الذي عرضه عليهم نبيُّ الهدى والرحمة، وقد صدع أبو سفيان يومئذ قائلا بنبرة قوية: «يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن».

وهذه خلاصة العرض النبوي الكريم، كما بلّغه بواسطة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. وبما أنّ أبا سفيان هو سيد القوم ومِنْ عِلْية أشراف مكة ووجهائها، فإن كلماته الواثقة القوية كان لها وقع الماء البارد على النار المتأججة، حيث خمد أي نزوع داخلي للمقاومة أو مواجهة الفاتحين والتصدي لهم.

في رحاب هذه الأجواء المفعمة بعزة الإسلام المعتّقة بروح الإيمان وانتصار العقيدة، اتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة الشريفة، وطفقت ذاكرته تستعيد صوراً من شريط الماضي، وكيف كانت الأوضاع العامة في مكة المكرمة، وكيف حصل التضييق على كوكبة الإيمان الأولى، حتى اضطر بعض أفرادها إلى الهجرة إلى الحبشة، وكيف بدأت شوكة الإسلام تقوى يوما بعد يوم إلى أن أذن الله تعالى بالهجرة الشريفة إلى يثرب (مأرز الإيمان) لتكون أول دار للإسلام.

لقد تتابعت الذكريات تترى وَفق شريط واحد متسلسل، ولكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، تجاوز ذلك كله مستشرفاً مستقبل الدعوة ومستقبل الإسلام، الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين. ولذلك توجّه إلى الكعبة الشريفة وطاف بها سبعاً وهو يرتِّل قوله تعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا» (الفتح: ١ ـ ٣)

ومما لا ريب فيه ولا جدال أنّ أي مسلم تختزن ذاكرته صوراً وانطباعات كثيرة جداً عن مكة المكرمة؛ فهي تعني له الكثير الكثير، وتختصر من المعاني ومن الدلالات ما يتعذّر حصره، ولذلك لا غرابة أن تهفو أفئدة المسلمين في المشارق والمغارب إلى مكة المكرمة،

وإلى البيت العتيق، ويتأجّج الشوق أكثر إبان موسم الحج والعمرة والزيارة.

أما ذاكرة غير المسلم فهي الأخرى بدورها تختزن صوراً ومشاعرَ وانطباعات ومواقفَ شتى لمكة المكرمة، فالذاكرة المتعصبة المنغلقةً تحمل إزاءها موقفاً سلبياً ينطوي على حقد دفين، ومثال ذلك موقف المبشر والجاسوس الإنجليزي (وليام غيفورد) الذي يقول في تبجّح وصفاقة لا نظير لها: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرّج في سبيل الحضارة التي لم يُبعدها عنه إلاّ محمد وكتابه».

بينما تحمل الذاكرة المتسامحة أو غير المتعصبة انطباعاتٍ أو مواقفَ تتسم بالموضوعية وأحيانا بالإعجابِ والاحتفاء. ومثال ذلك ذاكرة المستشرق الهولندي (كريستيان سنوك هورخرونيه) الذي ألف كتاباً ضخما يقع في مجلدين بعنوان: (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) الذي نقله إلى اللغة العربية الدكتور علي عودة الشيوخ. وبعض المؤرخين يقولون بأنه أسلم، وبعضهم يشكّك في ذلك، ويُشدّد على أنه مجرد جاسوس غربي عمل على جمْع المعلومات عن بلاد الإسلام والمسلمين، إذ إنه كُلف بأداء هذا الدور إبان عمله في حكومة هولندا الاستعمارية في الهند الشرقية خلال فترة الاحتلال الهولندي لإندونيسيا.

ونحن إذا تجاوزنا هذه المسألة المختلف فيها، نجد أن ذاكرته مترعة بالمعلومات التاريخية عن مكة المكرمة لا سيما خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي، ومن تلك الصور التي تحدث عنها كريستيان سنوك، صورة التعليم في المسجد الحرام وطرق توصيل العلم لرواد حلقاته ودروسه، حيث يقول: «وحلقات الدروس في المسجد الحرام مفتوحة لجميع المصلين الذكور كباراً وصغاراً، شيباً وشباناً، دارسين ومتفرجين ومتبرّكين، وطرق التدريس المتبعة ثلاثة: قراءة أحد الكتب مع أحد شروحه، حيث يقتصر همّ المدرس وجهده على ضبط التلاميذ قراءة النص مع بيان معاني الكلمات الصعبة، أو قراءة قضية فقهية وإيراد مختلف آراء العلماء فيها. أو جمع الشروح المختلفة واستخراج مصنّف منها».

إنّ الذي يتّضح لنا جلياً ويرتسم على صفحات الفكر أنّ المدائن والحواضر التي استأثرتْ بأكبر قدر من الانطباعات والآراء والمدوّنات، وتسجيل المشاهد والانطباعات والأحداث الخاصة بها، أو المستوحاة من العيش فيها، تأتي مكة المكرمة في طليعتها يقيناً.

ويكفيها شرفاً ورفعةً في التاريخ أنها البلد الأمين والعاصمة المقدسة في ضمير كلّ مسلم. فنسأل الله جلّ في علاه أن يزيدها تشريفاً وأمناً ورفعةً إلى أن يرث الأرضَ ومَنْ عليها وهو سبحانه خير الوارثين.

ولا بأس أن نختم هذا المقال بأبيات نبعت من قريحة أحد الشعراء المتيّمين بحبّ مكة المكرمة زادها الله تشريفاً ورفعةً، يقول فيها:

أرضٌ بها البيتُ المُحرّمُ قبلةٌ
للعالمين له المساجدُ تعدلُ
وبها المشاعرُ والمناسكُ كلُّها
وإلى فضيلتها البريّةُ ترحلُ
والمسجدُ العالي المُحرّمُ والصفا
والمشعران لمن يطوفُ ويرملُ
حرمٌ حرامٌ أرضُها وصيودُها
والصّيدُ في كلّ البلاد محلّلُ
وبها المقامُ وحوضُ زمزمَ مُشرعاً
والحِجْرُ والركنُ الذي لا يرحلُ
وبمكّةَ الحسناتُ ضُوعفَ أجرُها
وبها المُسيءُ عنه الخطايا تُغسلُ.

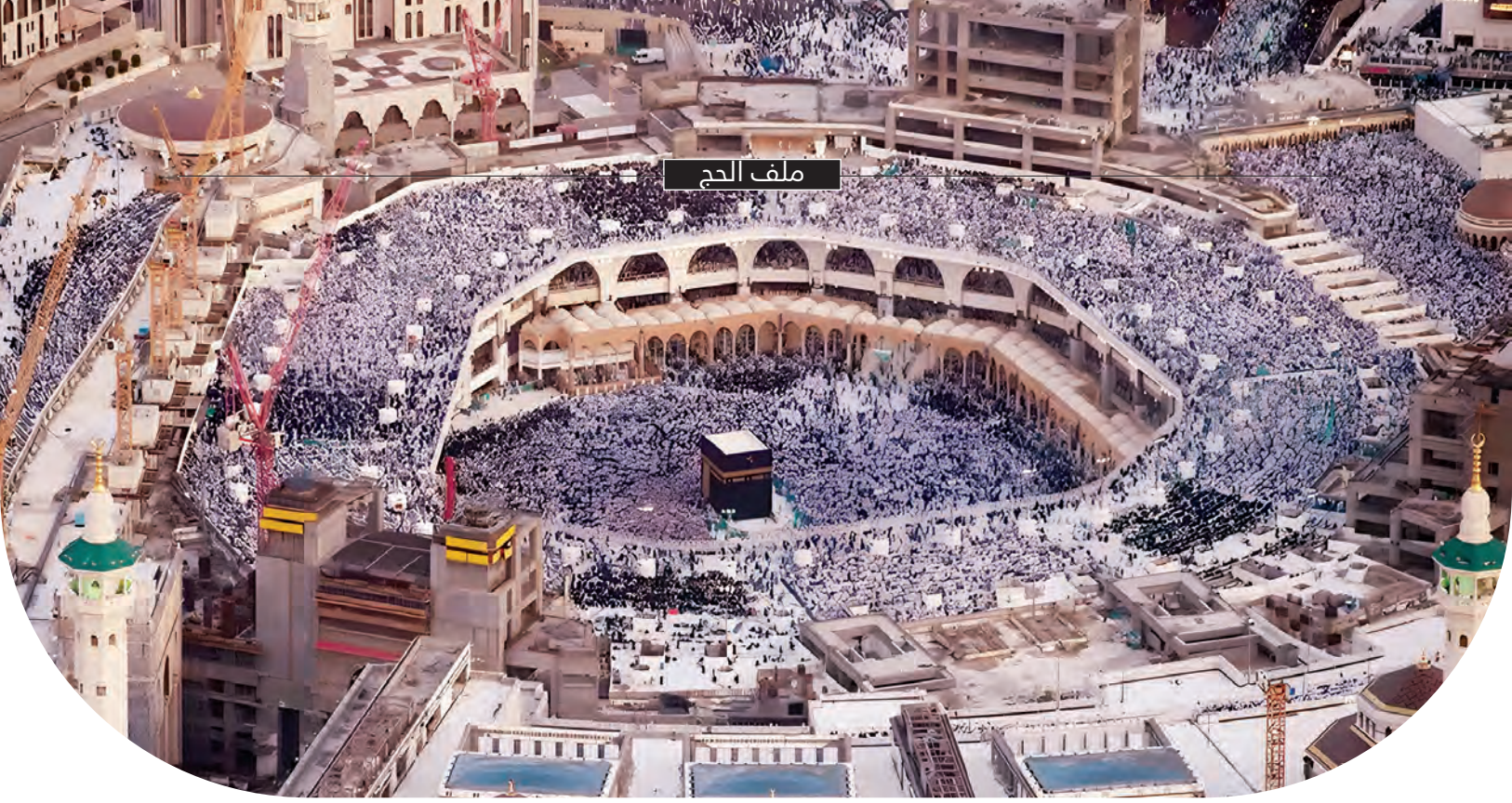

الحرم المكي: مشاهد خالدة وخدمات رائدة

عرض: د. حسن عبد الرازق النقر

تتجه وفود حجاج بيت الله الحرام إلى مكة المكرمة، لأداء فريضة الحج، هذا النسك العظيم الذي يشهده الملايين من المسلمين القادمين من كافة أنحاء الأرض. أحد القادمين إلى مكة بعد غياب وهو الدكتور علي عبد الله الحسين الأستاذ في جامعة القرآن بالسودان سجل انطباعاته عن الحرم المكي في كتاب يضم إلى جانب الانطباعات والمواقف، بعض القراءات الشرعية والاستشهادات من السيرة المطهرة.

يقول الكاتب إن مشاهد الحرم المكي عند من أوتي قلبًا واعيًا تنطوي على معانٍ عميقة، فالزائر للحرم والمتنقل في ساحاته قد لا تقتصر زيارته على مجرد أداء المناسك، بل لربما اتسعت معانيها بأحداث مرت به أثناء أداء النسك، أو حتى بعد أدائه، فقد يرى مرائي، أو يتعرض لمواقف تحدث له تغيرا في حياته من خلال قُربهِ من حركة الزائرين والاحتكاك بهم ورؤية تصرفاتهم التي تختلف باختلاف البيئات التي قدموا منها.

من أجل هذا حُق للزائر والمعتمر والحاج أن ينتفع بكل حركة أو تذكرة أو كلمة يسمعها، فهو في حاجة إلى اقتناص لحظات الصفاء، واهتبال فرص الإقبال، وفي الترمذي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملَك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملَك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء).

التشوُّف إلى بئر زمزم:

أول ما استشعره الكاتب عند دخوله المسجد الحرام وبدء الطواف حاجته في أن يستعيد صورة الحرم القديمة التي يتشوَّف إليها... استرعى انتباهه في المشهد اختفاء بئر زمزم؟ هو يعلم أنه منذ عام ١٤٢٤هـ، غُطيت مداخل قبو زمزم؛ لتوسعة صحن المطاف؛ تسهيلاً للطائفين، ولئن غابت صورة البئر من المشهد فإن ماء زمزم متاح الآن بكل سهولة ويسر مبردة وغير مبردة داخل (ترامس) في كل مكان داخل الحرم.

ولئن تغير مشهد المكان في بئر زمزم فإن أماكن أخرى في الحرم أو حوله تغيرت ملامحها أو دخلت في التوسعات. استمع إلى مهندس متقاعد شارك في أعمال الحرم في سنوات سابقة؛ حدَّثه عن خطة توسعة الحرم وأنها راعت توسيع مساحته رأسيا وأفقيا. وضعت الخطة لاستيعاب الزيادة في أعداد العمار والحجاج سنويا، والتعامل مع ازدحامهم في أداء المناسك في صحن الحرم ومساحة المطاف المحدودة.

وُضعت المشاريع والخطط بناءً على احتمالات الزيادة المتوقعة، وصممت القواعد الخرسانية التي شيدت عليها الأروقة وشيد عليها المسعى لكي تحتمل عدة طوابق مع السطح، ذلك يعني مزيدا من التوسع الرأسي في الطوابق، وبلا شك سيصاحب ذلك توسع أفقي، وإبداعات هندسية، وخدمات تناسب التوسع المرجو.

ولا شك أن مثل هذه الأمور مطلوبة ويبذل المسؤولون فيها جهودًا ملموسة لا يملك المرء إلا أن يدعو لهم بالتوفيق والقبول.

الملتزم:

أصبح الزحام أكثر مما كان يعهد قبل أربعين عامًا حينما كان مسجل هذه المشاهد طالب دراسات عليا في جامعة أم القرى بمكة. كان ميسورًا الوصول إلى الملتزم – وهو ما بين الحجر الأسود والباب - حيث الموضع

الذي يستجاب فيه الدعاء.

روى عمرو بن شعيب عن أبيه قال: طفت مع عبد الله بن عمرو فلما جئنا دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ قال: نعوذ بالله من النار، ثم مضى حتى استلم الحجر، وأقام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله.

في ساحات الحرم:

في ساحات الحرم المكي وفي المطاف والمسعى تشاهد تدافع الزائرين، وتسمع أصوات حناجرهم تلح بالدعاء، ينشدون رضا الله، وقبول الأعمال، والتوبة مما اقترفوا من آثام، يتعبدون ربهم، كلٌّ بما تيسر له من أنواع العبادة.

ها هنا تُسكب العبرات، وتؤوب النفوس إلى خالقها، تطلب منه العفو والمغفرة، وتعاهده على فتح صفحة جديدة.

في ساحات الحرم تشاهد الرجل والمرأة فتدرك من شهودهما بعضا من نعم الله على عباده، وحكمته في تشريع الزواج. وتشاهد المرأة (الأم)، قنديل الحب الذي لا ينطفئ، والعطاء الذي لا ينضب أبدًا، عطاءٌ بلا حساب، ومنحٌ بلا مقابل. تراها في ساحات الحرم

على كتفها رضيع، وعجلة تدفعها بإحدى يديها عليها صغير تجاوز الرضاع، وثالث تحمله قدماه على المسير لكنه يتبعها ممسكًا بردائها. ثم تراها تنتحي جانبا لترضع الرضيع، ومن حقيبة في كتفها الأخرى تخرج من الطعام ما يناسب مزاج كل واحد منهم، والرضيع يصرخ، والصغير يمتنع عن الطعام، والثالث تنادي عليه وقد ولَّى عنها، فتمنح الكل مطلبه غير عابئة بما لحق بها من تعب ووهن ورهق.

وهذا أبٌ ضرير يقوده ولده، وشيخ كبير يسنده ابنه، وامرأة طاعنة في السن تسقيها بنتها ثم تؤاكلها...

حلقات العلم:

تنتشر في أروقة الحرم في الطابق الأرضي حلقات العلم في شتى العلوم الشرعية، ومنها حلقات خُصصت للزائرين، وهناك أماكن مخصصة للإجابة على الأسئلة الشرعية، إلى جانب هواتف مجانية يمكن الاتصال بها للسؤال، فضلا عن المرشدين الذين يصطحبون الأفواج والمطويات الصغيرة التي تقدم المعلومة الصحيحة في أقصر عبارة.

ومع ذلك قد يُلاحظ عند بعض الحجاج والمعتمرين ضعف اهتمام بتحصيل العلم، وقد تشاهد في الحرم أثناء أداء الصلاة صورًا من قلة الإلمام بأحكامها، خاصة في الساحات الملحقة بالحرم، من ذلك: عدم الحرص على التأكد من استقبال الكعبة أو جهتها، وصفوف الصلاة غير المتراصة، والفرج الواسعة بين الصفوف، وعدم اتصالها، ووضع الأمتعة والأحذية بطريقة خاطئة، وقد جاء في هذا نص صريح، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه ولا عن يساره فتكون عن يمين غيره، إلا أن لا يكون عن يساره أحد، وليضعهما بين رجليه».

لتعارفوا:

يعرض الكاتب لبعض حالات التعارف التي حصلت معه. هذا أستاذ جامعي من باكستان جلس إلى جواره في لحظات ما قبل صلاة المغرب في رمضان والجميع ينتظر الأذان وقد اصطفوا في جلستهم مقابل الكعبة. وما لفت نظره إليه أنه تنازل عن كرسيه لامرأة. وكان ذلك مدخلا لحوارات امتدت أيامًا، ثم سافر بعدها إلى بلاده، ليغمره عبر الوسائط برسائله وتحياته.

هذه واحدة من الصور المتكررة للتعارف في الحرم، تشي ببساطة اللقاء، وعمق مشاعر المسلمين. والتعارف

قاعـدة اجتماعيـة عظيمـة، به يحصل الحـب والودُّ بين إخوة الدين، وبه يتحقق التعاون على الخير ومشـاريعه، وتبادل الأفكار والخبرات والنصح.

يقـول الكاتـب: في جلسـة من الجلسـات ما بـين المغرب والعشاء في الحرم ساعدتُ أحد كبار السن في الجلوس على كرسـي ليتيسـر لـه الانتظار بين الصلاتـين، وعلى مقربـة ليسـت ببعيدة مني كان أحـد المعتمرين الأتراك، ويبدو أن هذا المشـهد البسـيط وجد قبولا عنده، فأقبل نحوي، وبعد التحية والسلام عرفني بنفسه. لغته العربية عصية على الفهم، لكنه اسـتطاع أن يوصل لي ما يريده مـن الرضاء عما قمت به من مسـاعدة لهذا المسـن وإن كانت مساعدة عابرة، وفي الحديث الصحيح: «لا تحقرَنّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تلقَى أخاك بوجهٍ طلِق».

كانت هذه اللحظات العارضة سـببا في توالي الجلسـات وتجاذب الحديث طيلة بقائه.

وعندمـا بقيـت أيـام علـى رجوعه إلى بـلاده جلس إلى جانبي حزينا، وأهدى لي مصحفا مطبوعا في بلده، وهو مكتوب بطريقة تسهل القراءة بخط عادي، وفتح صفحة الغلاف الأخيرة منه ليريني بأنه دون لي فيها رقم هاتفه في تركيا، ثم ما لبث أن انفجر باكيا بحرقة عبرت عنها دموعه التي تحدرت لتتساقط بين شعرات لحية بيضاء خفيفة، فعجبت من فجاءة بكائه، وسـألته إن كان حدث شيء آلمه، فأجابني بصوت متهدج أنه سوف يسافر بعد أيـام عائـدا إلـى بلـده، ولا يعـرف هل تُكتب لـه عودة أم تكون هذه آخر رحلاته في الحياة إلى مكة.

الإفطار في الحرم:

ساعة غروب الشمس في رمضان بالحرم المكي لها رهبة عجيبـة، وأنـت تبصر مشـهد الصائمين؛ مشـهد مألوف حتـى في غيـر أيـام رمضان، خاصـة إذا دخلت الحرم في يـوم مـن الأيام التي توافق الأيام المسـنون فيهـا الصيام، وأذان المغرب يوشك أن يرتفع معلنا دخول وقت الصلاة، فسـيقع بصـرك علـى جماعات صغيرة منتشـرة في أكثر

مـن مـكان، وهي جالسـة مولية وجوهها الناضرة شـطر البيـت الحـرام، رافعـة أكفهـا إلى السـماء مسـتغرقة في دعـاء خاشـع، ونفـس منكسـرة، تقتنـص هـذه اللحظـة العجيبة التي يستجاب فيها الدعاء: المصاحف مبسوطة بين يديها، تحدق فيها بالبصر والبصيرة، وألسنتُها تردد عبارات الذكر، وأناملُ تحرك خرزات المسابح تحصى بها عدد تسـبيحها، تشاهد هؤلاء القوم وقد بسطوا أمامهم فرشات تناثرت عليها أنواع من التمر (البرحي والشيش والسكري والصقعي والعجوة...)، وتوزعت فيها الكاسات البلاسـتيكية البيضـاء امتـزج بياضها بصفـاء ماء زمزم فترى الكأس تظنه فارغا، ثم خفيف الطعام من الزبادي والسمبوكسـة والفطائر وقطع الخبز البر والأبيض، وقد تحظى بعض البُسُط بما لذ وطاب من الفواكه والعصير الطبيعي غير المحلى، إلى جانب ترامس (دلات) الشـاي والقهـوة العربية، وترامس الزنجبيـل الممزوج بالزعفران أو النعناع الحَبَك (النعناع المغربي) ...

الحجر الأسود:

مـن أكثر المشـاهدات لفتا للنظـر في الحرم الزحام حول الحجر الأسود، وهو نقطة بداية الطواف ومنتهاه، شُرع

للطائفين تقبيله واستلامه، مع القدرة، فإن لم يتيسر فالإشارة إليه عند محاذاته مع التكبير.

ترى الطائفين يجتهدون في السعي لتقبيله لدرجة يؤذي فيها بعضهم بعضًا، يستقوي فيها قوي البنية على الضعيف بطريقة تنافي خلق المسلم، ويُجهل فيها أن تقبيله مستحب، بينما أذية المسلم حرام، بصفة عامة، وبالأخص في هذا الموضع الذي يضاعف فيه الوزر، وحينئذ فإن الأولى ترك المستحب والاكتفاء بالإشارة إلى الحجر حتى لا يرتكب المسلم محرما يتضاعف إثمه، وهو عند بيت الله، ما جاء به إلى هنا إلا الرغبة في محو الخطايا وتكفير الذنوب، ناسيا أن الحديث أخبر عن أن الحجر يشهد لمن استلمه بحقّ وليس لمن استلمه بإيذاء المسلمين.

نظافة الحرم:

تشاهد داخل الحرم عمال النظافة يهرعون بأدواتهم ومطهراتهم وعطورهم، ويجتهدون في الغسل مرات ومرات، يسكبون المطهرات، ويعطرون المكان بمهارة واضحة من هؤلاء العمال.

إن الطائفين حول الكعبة، والساعين بين الصفا والمروة، والمتجولين في أروقة الحرم وساحاته يتقلبون في نعمة الله وتفضله وتكرمه عليهم بحظوتهم بالوجود في هذه البقعة الطاهرة، لا تكاد تجد في أرضيات الحرم، شيئًا يعيق حركته أو حركة غيره من المارين، سواء أكان هذا الأذى حجرًا أو نوىً أو بقايا طعام أو خرقاً أو نحوها.

وفي الحقيقة إن ما نشاهده من عموم الزوار حرصهم على أن يظل المكان طاهرا نظيفا خاليا مما يعيق الحركة مهما قل جرمه، ولأول وهلة قد يخطر بالبال أن سبب هذا الحرص هو التقدير لقدسية المكان، وهذا بالطبع حق وشعور صادق ومتوفر لا شك فيه، ولكنه ليس السبب الوحيد للحرص على الحفاظ على المكان نظيفا، فهناك أسباب أخرى لها أثرها في هذا الحرص، من أبرزها الحضور الكثيف لعمال النظافة، ووجود سلال القمامة على بعد خطوات من الزائر أينما ذهب، فضلا عن الشعور الإيماني العام الذي يعين على هذا الحرص.

والمرء لا يملك إلا أن يشارك الكثيرين الإعجاب بتوافر هذا العدد الكثيف من العمال، وتنوع مهامهم في النظافة، وبالتالي تنوع الوسائل التي يستخدمونها في التنظيف، إنهم يتحركون كالنحل داخل الخلية، كل يؤدي دوره، والجامع بينهم الحرص الشديد على ملاحقة أي نوع من أنواع الأذى ساقطا على الأرض، أو سائلا في الطريق مهما قل شأنه، ثم التقاطه بخفة ومهارة عالية ووضعه في السلال.

وهنيئًا لكل من عمل في نظافة العاصمة المقدسة، فإن إماطة الأذى من وسائل دخول الجنة، فكيف إذا كان في مكة والمدينة؟ في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا يتقلَّبُ في الجنَّة في شَجَرةٍ قطعَها مِنْ ظَهْرِ الطريقِ، كانت تُؤذِي المسلِمينَ.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن إماطة الأذى من محاسن أعمال هذه الأمة حيث قال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ).

وإنك لتعجب حين تسمع الصحابي الجليل أبا برزة رضي الله عنه يسأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم: فيقول: يا نبيَّ الله، علمني شيئًا أنتفع به. فإذا بجواب النبي صلى الله عليه وسلم يكون: «اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ».

ولربما تعجب أكثر وتدهش حين تسمع الوعيد الشديد لمن يخالف إماطة الأذى لدرجة اللعن والطرد من رحمة الله تعالى حيث يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ).

فماذا بقي علينا غير التعظيم والتبجيل لمن نال هذه الدرجات، وحظي بهذه المكانة في ديننا؟

المصاحف في أروقة الحرم:

عندما يتناول المعتمرون المصاحف من الأرفف بغرض القراءة فيها تشاهد تصرفاتهم في تعظيم المصحف: فمنهم من يأخذ المصحف فيقبله بمجرد استلامه وقبل جلوسه للقراءة فيه، ومنهم من يضعه أثناء القراءة على كرسي رفعة لمكانه، ومنهم من يقرأ فيه والمصحف معتليا متاعه... وهكذا فكلهم حريص على وضعه في مكان مرتفع حتى يتحقق رفعه حسا ومعنى، قال الله تعالى: {مرفوعة مطهرة}. وإن كان بعض المسلمين قد يضعه على البساط من غير أن يرى أن في ذلك امتهانا للمصحف.

يحكي الكاتب: كنت مرة جالسًا أتلو بعض آيات من المصحف مستقبلا الكعبة، وبالتالي أكون مستدبرا للأرفف التي تفصل بين النساء والرجال، جاءني أحد الزائرين، ووجهني بأن لا استدبر الأرفف التي عليها المصاحف! وأن أنحرف في جلستي قليلا بحيث يكون جزء من البدن متجها للكعبة لا كل البدن، فأكون بذلك غير مستدبر للمصاحف، وفي نفس الوقت مستقبلاً الكعبة. ثم علل لي توجيهه لي بأنه أدب مع القرآن الكريم، وتعظيم له.

بالطبع عجبت لهذا الفهم، الذي لا أذكر دليلا له، ولا أظن أن في استدبار الأرفف قلة أدب حتى وإن كان عليها المصاحف، وبينت له ذلك، فانصرف على مضض.

ومع إن قوله هذا لا يسنده دليل حاضر لكنه يشير إلى حالة تعظيم المصحف في قلوب عامة المسلمين، واحترامهم وتقديرهم له، وإن كان بالمقابل هناك بعض المسلمين يدل سلوكهم على الاستخفاف بالمصحف، وعدم تعظيمه من حيث يعلمون أو لا يعلمون، كمن يمدد بطون رجليه أمام المصحف، أو يضعه أرضا، أو يتكئ عليه، أو يضع عليه حوائجه أو نحو ذلك من التصرفات التي تحتسب في جانب امتهان المصحف.

تلاوات الصلاة:

من المشاهد العذبة والممتعة في الحرم المكي الصلوات الجهرية الصبح والمغرب والعشاء، تستمع فيها للتلاوة الجهرية للقرآن الكريم في هذه الصلوات، حفظ متقن، ومخارج واضحة، وضبط لمواضع الوقف والابتداء، وتلاوة مجودة، وأصوات متعددة بتعدد الأئمة، أصوات متباينة، ومتنوعة، تطرب الأذن لسماعها، ويخفق القلب ويخشع وتزداد ضرباته لعلوها وانخفاضاتها، أصوات عجيبة لهؤلاء الأئمة، يتميز كل صوت عن غيره بميزة

أو ميـزات قـد لا تجدهـا عند الآخـر، فتحس أنه قد تم اختيـار هـؤلاء الأئمة بعنايـة فائقة ليقومـوا بهذه المهمة الحساسـة، مهمـة إيصـال القرآن الكـريم بالأصوات في الصلـوات لهـذه الملايـين من البشـر ممن جـاء إلى هذه البقعة الطاهرة، والملايين من البشر الذين خارج الحرم، والملايين من البشـر حول العالم سـواء أكانوا يسـتمعون القـرآن لحظـة إمامـة الإمـام للصـلاة أم يسـتمعون له لاحقا عبر أجهزة السماع.

حمام الحرم:

مـن المشـاهدات الجميلـة والممتعة في الحـرم المكي التي تشـبع النفس بهجة وحبورا أسـراب الحمام، والتي تملأ فضـاء الحـرم وما حولـه تحليقـا، وتتخايل في سـاحاته مشـيا على أقدام رقيقة، بسرعة وخفة لطيفة، وتتبختر في كل جنباته عزة وشـموخا وكبرياء، تستمتع هي وتمتع الزائريـن والعاملـين معها، تقترب مـن محبيها لتنال من أنواع الحَب ما يحلو لها وتترك منه ما تشاء، وتتخير ما لذ من أصناف الطعام التي تُلقى لها.

وقـد حمـى الله هذا الحمام بمنع الصيـد في مكة، فمن قتل حمامة من حمائم الحرم فجزاؤه ذبح شاة، كما رواه الشـافعي رحمه الله في كتابه (الأم) عن ابن عمر رضي الله عنهمـا أنـه حكم بذلك، وبمثلـه روى عبد الرزاق في (المصنـف) أن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا قـال: «فِي الْحَمَامَةِ شَـاةٌ». وفي قتل أي فرخ من فراخ حمام الحرم شـاة عنـد الإمـام مالـك رحمـه الله؛ لأن حكمـه كحكـم أصله.

الصلاة على الأموات:

ما إن يفرغ إمام الحرم من صلاة الفريضة بالتسليمتين إلا وتسـمع الـمُبَلِغ ينـادي بصوت رخيـم: «الصلاة على الأمـوات»، أو «الصـلاة علـى الأمـوات والأطفـال»، أو «الصـلاة على الرجل والمـرأة» وحينها يتوقـف الكثيرون في انتظار صوت الإمام معلنا التكبير لصلاة الجنازة.

عنـد هـذا المشـهد المهيـب، وهـذه الصفـوف المتراصـة دائريا حول الكعبة المشرفة في صمت في هذه اللحظات ينتابنـي دوما إحسـاس بسـعادة عظيمـة لأمرين: الأول لسـعادة هـؤلاء الموتـى الذيـن كتـب الله لهـم الصـلاة عليهـم في الحـرم، ثم حظوا مع ذلك بدعاء هذه الآلاف المؤلفـة من المسـلمين، يشـفعون لهم عنـد الله ويرجونه أن يسـامحهم. ويغفـر ذنوبهـم، وغيـر ذلك مـن دعوات المسلمين على موتاهم، جزى الله حكومة خادم الحرمين الشـريفين وولـي عهده حفظهمـا الله على هذه الجهود المتميزة والفريدة في خدمة الحرمين الشريفين وضيوف الرحمن.

أسست أول لجنة نسائية تطوعية في الحج

المطوفة فاتن: المهارة والجدارة شرط دخول المرأة لـ «الطوافة»

حوار: توفيق محمد نصر الله

المطوفة الأستاذة فاتن إبراهيم محمد حسين، مستشار معالي وزير الحج والعمرة سابقًا؛ قدّمت صورة نموذجية للمرأة السعودية في خدمة ضيوف الرحمن، جمعت بين المعرفة التربوية بوصفها موجهة تربوية سابقة وبين مهنة الطوافة التي توارثتها أباً عن جدٍّ، وأسست أول لجنة نسائية تطوعية لخدمة ضيفات الرحمن عام ١٤٢٩.

أسهمت الأستاذة فاتن في نشر قيم العمل التطوعي في مهنة الطوافة، ووثّقت مشوار المرأة المطوفة، وأثبتت الدور التاريخي للمرأة في مساندة زوجها المطوف. في هذا الحوار ناقشنا مع ضيفتنا كل متعلقات مهنة الطوافة، بدءًا من المرحلة الروحانية المطلقة، ثم مرحلة الطوافة الفردية وكانت في عهد الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، ثم مرحلة مؤسسات الطوافة وعددها سبع مؤسسات عام ١٤٠٢هـ، التي تطور العمل فيها من العمل الفردي إلى العمل الجماعي المؤسسي في ظل تزايد أعداد الحجاج. وأخيرًا نظام الشركات الحالي، حيث لم يعد هناك تخصص في الأقاليم الجغرافية كما كان في عهد المؤسسات وعددها (٣٧) شركة تقدم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام، فإلى الحوار:

فاتن بنت إبراهيم محمد حسين، كاتبة رأي في عدة صحف ومجلات منها صحيفتا المدينة ومكة، عضو جمعية كتاب الرأي السعودية، مستشار معالي وزير الحج والعمرة ٢٠١٩م -٢٠٢٠م، عضو رواق بكة بنادي مكة الثقافي الأدبي، عضو مجلس إدارة جمعية أم القرى الخيرية والمشرف المالي لها لثماني سنوات، عضو مؤسسة الجودة والتميز المؤسسي، حاصلة على لقب ملهم السلام من جمعية (فرسان السلام)

في الأردن، حاصلة على شهادة (سفير الجودة) من المؤسسة الدولية للجودة حسب نموذج IIEM، حاصلة على شهادة مقيم دولي معتمد للجودة، حاصلة على ماجستير مناهج، وبكالوريوس أدب إنجليزي، ودبلوم حج وعمرة عام ٢٠١٩، حاصلة في عامي ٢٠٢٣-٢٠٢٤م على خمس دورات من وزارة السياحة لإدارة الحشود وإدارة المخاطر في الفعاليات من أكاديميات في سويسرا وأمريكا، مشرفة تربوية وعضو مجلس استشاري بتعليم مكة سابقاً، عضو المجلس الاستشاري النسائي لرواد المسجد الحرام ٢٠٢٠- ٢٠٢١م، عضو الوفد الإعلامي الثقافي المدني المصاحب لزيارة خادم الحرمين الشريفين للهند ٢٠٠٦م، حاصلة على العشرات من شهادات الشكر والتقدير من جهات متعددة: إدارة التربية والتعليم، وزارة الحج، مؤسسة جنوب آسيا، وزارة الثقافة والإعلام.

للتقنية دور كبير في تسهيل رحلة الحاج ومنها منصة (نسك) وتطبيق (المطوف) و(الأسورة الذكية) ومنصة (الحج الذكية) ومنصة (ضيف)

ما قصة تأسيسك لأول لجنة نسائية تطوعية لخدمة ضيوف الرحمن عام ١٤٢٩هـ؟

الحقيقة أنني استشرفت المستقبل بأهمية العمل التطوعي في خدمات حجاج بيت الله الحرام وخاصة النساء الحاجَّات، لأن هناك الكثير من الاحتياجات الكبيرة؛ فالعمل التطوعي الإنساني من أعظم الأعمال التي ترتقي من خلالها المجتمعات، بل وتحقق لها مكتسبات حضارية اقتصادية وعلمية وثقافية

في ظل نظام الشركات الحالي لم يعد هناك تخصص في الأقاليم الجغرافية وأصبحت اقتصاديات الحج أحد أهم الأهداف بعد أن فتح المجال التنافسي والاستثمار

واجتماعيـة، وهو ظاهرة ينتج عنهـا الكثير من الترابط والتآخـي لأنه يقوم على البذل والعطاء. وإذا كان العمل التطوعـي عظيمًـا في جوهـره في أي ميدان فهو لخدمة ضيوف الرحمن أعظم وأثقل لميزان العبد، كيف لا وهم ضيـوف الله أتوه شُـعثاً غُبراً فيباهـي الله بهم ملائكته في أعظـم أيامـه سـبحانه وتعالـى، فهـم أولـى بتقـديم الخدمة التطوعية لهم ومؤازرتهم مادياً ومعنوياً، وتفقد أحوالهـم وتلمس احتياجاتهم وتقديم المسـاعدة لهم من طعـام وشـراب وغيـره؛ بـل وتوجيههـم لأداء المناسـك، وخاصة تقديم خدمات تطوعية للنسـاء في الحج، حيث يصـل عددهـن إلـى ٥٠٪ من عدد الحجـاج، وتقدم لهن الخدمـات عـن طريـق الرجـال مـع وجـود خصوصيات كبيـرة للمـرأة والتـي تحتاجهـا خلال رحلـة الحج. ومن هنـا جـاءت الفكرة بتكوين لجنة نسـائية مـن المطوفات وبناتهـن وبنـات المطوفـين، وقـد بـدأت اللجنـة بسـت مطوفات ثم ازداد العدد خلال سـنوات ليصل إلى أكثر من ٤٦ مطوفة.

وقـد وضعت رؤيـة للَّجنة وهي: جعل حج المرأة عبادة وثقافـة ووسـيلة للتواصـل الفكـري والإنسـاني الذي يقوم على مبدأ الأخوة الإيمانية بين المطوفة والحاجَّة مـن دول جنـوب آسـيا، لتحقيق المنافع السـامية التي تقـوم عليهـا شـعيرة الحـج، أمـا الرسـالة: فهـي: أن للمـرأة الحاجـة خصوصياتهـا، التي هـي من صميم اهتماماتنـا المهنية، وذلك لمنحها فرصة أداء مناسـك الحـج براحة وطمأنينة وفق أحكام ومبادئ الشـريعة الإسـلامية.

مـا الأهداف التي سـعيتم لتحقيقها من خلال هذه الرؤية؟

الأهـداف التي سـعينا لتحقيقها من خـلال هذه الرؤية هي:

• رعايـة الحاجَّـات صحياً وتفقد أحوالهن ومواسـاتهن وتوعيـة وتثقيـف حاجَّات بيت الله الحـرام دينياً خاصة فيما يتعلق بشعائر الحج والعمرة.

• توطيـد أواصـر الصداقة مع ضيفات الرحمن وتكوين علاقات إنسانية سامية.

• إبـراز منجـزات خـادم الحرمـين الشـريفين لتطويـر الخدمـات المقدمـة لحجـاج بيـت الله الحـرام في مكـة المكرمة والمشاعر المقدسة.

• تقـديم صـورة واضحـة لهذه الشـعوب عـن دور المرأة السـعودية -وخاصـة المكية- وقدرتها على المشـاركة في البناء والتنمية لمحو الصورة النمطية عنها.

• تبـادل الفكـر والرأي الثقافي والعلمي والاجتماعي مع الحاجَّـات ذوات المسـتويات والمناصب العلمية والإدارية المرموقة.

• إطـلاع الحاجَّـات علـى بعـض التـراث المكـي والآثـار الإسلامية.

• المسـاهمة في نشـر قيـم العمـل التطوعـي في مهنـة الطوافة لخدمة ضيوف الرحمن.

• تأكيـد الإحسـاس بـروح الانتمـاء الوطنـي، والرقـي بمفهوم التعاون على البر والتقوى.

وقـد تمَّ تكويـن لجان نسـائية لمتابعة تحقيـق الأهداف: لجنـة الرعاية الصحية والاجتماعية لمتابعة المنومات في المستشـفيات، واللجنة الثقافية، ولجنة التوعية الدينية، ولجنـة العلاقات العامة والإعلام. وقد تحققت أهداف اللجـان، بحمـد الله، وقامت بـأدوار مهمة، حيث تفيأت ضيفـات الرحمن الكثير من الخير والعطاء. وقد وثَّقت

هـذه التجربـة في خدمـة ضيفـات الرحمـن مـن خـلال كتابـي: (تجربتـي مـع الطوافـة.. خطـوات نحـو العالم الأول) تناولـتُ فيـه عمـل المـرأة المطوفـة في خدمـات متنوعـة، كمـا تناولـت جـزءاً منـه مقالاتـي حـول الحج والطوافة وأعمال مؤسسات الطوافة في تلك الفترة.

وثّقت في كتابي (تجربتي مع الطوافة.. خطوات نحو العالم الأول) مشوار المرأة المطوفة في خدمة ضيوف الرحمن

كيف كانت مهنة الطوافة أيام الطوافة الفردية؟ وما الخدمات التي كانت تقدم للحجاج؟

الحج وما يرتبط به من شعائر دينية كالطواف والسعي والذهـاب إلـى منى وعرفـات والمزدلفـة، اقتضى وجود أفـراد يقومون بخدمة الحجاج ويرشـدونهم ويوجهونهم ويسـهرون علـى راحتهـم. كمـا أن معظم وفـود الحجاج التـي كانـت تصـل إلـى مكـة لأداء الحج كانـت تعين لها أميرا رسـميا يسـمى أميـر الحج. وعرف هـذا التنظيم منذ أن فرض الحج على المستطيع، حيث كان الصحابي الجليل أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، أول أمير للحج في عهد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكانت قوافل الحجاج تأتي إلى مكة وهي مزودة بكل ما يحتاج إليـه الحجاج من زاد وحرس وغيرهما، وكان يصاحبهم مرشـد دينـي أو فقيـه ليعلمهـم أمـور دينهـم ويوجههم. سـميت هـذه المرحلـة بمرحلـة الروحانيـة المطلقة، وقد كانـت هنـاك مراحـل عـدة مـرت بهـا الطوافـة، ولكـن الطوافـة الفردية كانت في عهد الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- وهي من عام ١٣٤٣هـ، حيث تشـترك الأسـرة جميعهـا في خدمـة ضيـوف الرحمن مـن الأب أو الزوج والأولاد والسيدات، وكل منهم له مهامه ومتابعتها، وقد قمت بدراسـة عـام ١٤٢٦هـ بعنوان: (أعـلام الطوافة.. المطوفات) أثبتّ فيها الدور التاريخي للمرأة في مساندة زوجها المطوف، بل من السيدات من كانت تعمل بمفردها ومنهـا مقابلة شـخصية مع أكبر المطوفات للكشـف عن طبيعـة الخدمـات التـي قدمتهـا المـرأة المطوفـة؛ وقـد ذَكَرت السـيدة آسـيا أكرم خان، رحمهـا الله (١٣٤٠هـ) أنها عملت مدة (أربعة وسـبعين عامًا) مطوفة بعد وفاة والدهـا المطـوف أكـرم خـان، كمـا أنهـا ورثـت الطوافة عنـه هي وأخواها السـيد سـليمان والسـيد علي، وبعد وفاتهمـا ظلـت هـي الوحيـدة التي تعمل مطوفـة. تولت السـيدة آسـيا أعمـالا قياديـة كمطوفة، وكانت تشـرف علـى الاسـتقبال والضيافـة والتطويـف والتصعيـد للمشـاعر المقدسـة والنفرة والتفويـج، وإركاب الحجاج، يساعدها في ذلك زوجها الذي كان ابن عمها أيضا وهو الشـيخ عبد اللطيف محمد علـي إبراهيم خان، وكذلك ابنهـا حامـد، ثـم أحفادها، يسـاعدهم في ذلـك صبيان متمرسون بالمهنة.

وكيف أصبحت هذه المهنة في عهد المؤسسات التي أنشئت عام ١٤٠٢هـ؟

تطور العمل من العمل الفردي إلى الجماعي المؤسسـي في ظل تزايد أعداد الحجاج، وإلى ما سمي (بمؤسسات الطوافـة) في عـام ١٤٠٢هـ، وظهـرت المؤسسـات التي أصبحـت تتبـع أقاليـم العالـم الإسـلامي كافـة؛ فهناك مؤسسـة الـدول العربيـة، ومؤسسـة جنـوب آسـيا، ومؤسسـة جنـوب شـرق آسـيا، ومؤسسـة إفريقيـا غير العربيـة، ومؤسسـة تركيـا وأوروبـا وأمريكا وأسـتراليا، ومؤسسـة إيـران. وقـد تحولت مـن العمل الفـردي إلى العمل الجماعي المؤسسـي ولها أنظمة وتعليمات دقيقة وتتبع وزارة الحج والعمرة مباشـرة في الإشـراف عليها، ووضعت إجراءات العمل التي أسـهمت في تسـهيل رحلة

الحاج من كافة الجوانب: النقل والمواصلات، والسكن، والإعاشة في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

وكيف هي الآن بعد أن جرى تحويلها أخيرًا إلى شركات؟

في السنوات الخمس الأخيرة وبظهور نظام مقدمي خدمات حجاج الخارج بالمرسوم الملكي رقم م/١١١ بتاريخ ١٧ /٩/ ١٤٤٠هـ، ظهرت أهداف أخرى لأعمال الحج حسب رؤية ٢٠٣٠م والمعتمدة على: العمق العربي الإسلامي، وأن نكون قوة استثمارية رائدة ومحور ربط بين القارات الثلاث. وكان أحد برامج الرؤية (برنامج خدمة ضيوف الرحمن) الذي دشنه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- في مكة بتاريخ ١٤٤٠/٩/٢٣هـ، وبمتابعة سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان للبرنامج، حيث تطلب وضع لوائح وأنظمة واستراتيجيات دقيقة للعمل والمشاركة في خدمة ضيوف الرحمن. وقد جاء في النظام المادة الثانية فقرة ٣: «العمل على توسيع قاعدة المشاركة في هذه الشركات واستقطاب الكفاءات من المواطنين والراغبين في العمل؛ وذلك لتقديم أفضل الخدمات للحجاج».

وبناء على ذلك لم يقتصر العمل على المطوفين والمطوفات وإنما دخلت فئات أخرى من أبناء الوطن، وخاصة في المجال الاستثماري والاقتصادي لإدارة الأعمال التي تختص بها الشركات مثل الأسهم، ولكن تبقى الخبرات الميدانية في أعمال الحج هي للخبراء من المطوفين والمطوفات، حيث تُشترط الخبرة الميدانية بما لا يقل عن خمس سنوات في مجالس الإدارات.

كما جاءت اللائحة التنفيذية بقرار معالي وزير الحج والعمرة رقم ٤١٠١٠٥١٤٣ وتاريخ ١٤٤١/١/٥هـ، وتغيرت الهيكلة إلى (نظام الشركات)، وأصبحت هناك أنظمة جديدة؛ تتبع لوزارة التجارة في الجوانب الاستثمارية ولوزارة الحج كجهة إشرافية على الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن، وراعت كافة جوانب رحلة الحاج وبما يكفل توفير أقصى درجات الراحة والطمأنينة له، حيث تبقى الخدمات الأساسية بكافة جوانبها هي محور العمل لمقدمي خدمات حجاج الخارج.

ما الذي تغيّر في هذه المهنة بعد أن تحولت من العمل الفردي إلى العمل الجماعي المؤسسي أو الشركات؟

في ظل نظام الشركات لم يعد هناك تخصص في الأقاليم الجغرافية، وفُتح المجال التنافسي، والاستثمار، وجعل اقتصاديات الحج أحد أهم الأهداف. والآن يوجد أكثر من ٣٧ شركة لتقديم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام، كما أن المرأة عملت بفاعلية كبرى مثلها مثل الرجل، وأعطيت نفس المهام ونفس المكافآت، وهو الحلم الذي كانت تتمناه، والذي أصبح حقيقة في ظل تمكين المرأة السعودية من الدولة أعزها الله وإعطائها فرص خدمة الوطن وإثبات الذات في كافة المجالات، ومنها خدمة ضيوف الرحمن؛ ففي ظل نظام الشركات لم يعد هناك اشتراط توكيل المرأة أحد أقاربها ومن ثم تقسيم المكافأة بينهما بالمناصفة أو حسب التراضي، ولكن أصبح العمل متاحاً للمرأة المطوفة وفق الجدارة والمهارة والخبرة في مجال تنافسي يتيح الفرص للجميع، كما أصبح التركيز على المهارات الاقتصادية لتنمية أصول الشركات والدخول في مجالات تنافسية واقتصادية كبرى.

إلى أي مدى ساهمت التقنية في تسهيل رحلة الحج لحجاج بيت الله الحرام كالتطبيقات الذكية؟

حتماً كان لاستخدام التقنية دور كبير في تسهيل رحلة الحاج، ومنها منصة (نسك) حيث يتم حجز الباقات من الحجاج سواءً من حجاج الداخل أو الخارج

واختيـار الباقات والأسـعار والدفـع الإلكتروني. كما أن تطبيـق برنامـج (المطـوف) الذي طوره أحـد أبناء المهنة وهـو المطـوف الدكتور عثمان بكر قزاز في شـركة تركيا وأوروبـا وأمريكا وأسـتراليا يسَّـر طلب خدمـة التفويج للتطويـف المركـزي لأداء طواف القدوم للحجاج من قبل شـركات مطـوفي الحجـاج، وهـو تجربـة تقنيـة جديـدة لأتمتـة إجـراءات طلـب التفويـج، وداعـم لرؤيـة المملكة ٢٠٣٠م في مجال التحول الرقمي، واسـتقبال أعداد قد تصل إلى أربعة ملايين حاج. وهناك (الأسورة الذكية)، وهي ضمن الجهود الابتكارية التي تقوم بها وزارة الحج والعمـرة بإنشـاء (منصة الحج الذكيـة)، ويمكن قراءتها عبر تطبيق على الأجهزة الذكية من خلال تقنية الاتصال (المجـال القريب NFC)، وبهـا كل معلومات الحاج وذلك للمسـاعدة في إرشـاد الحجـاج التائهـين لمقـر إقامتهم، وخاصة في المشاعر المقدسة. ومنصة ضيف: وهي أكبر منصة موحدة في العالم لتتبع الحافلات لخدمة تنقلات ضيـوف الرحمـن، وهي أحد مشـروعات النقابة العامة للسيارات بالتعاون مع (وادي مكة للتقنية)، وتعتمد على التطبيقـات الذكيـة من خلال إدارة وجدولـة وتتبع أكثر مـن ١٧ ألـف حافلة. وكل ذلك من جهـود الدولة رعاها الله، وبمتابعة حثيثة من خادم الحرمين الشريفين الملك سـلمان بـن عبدالعزيز -حفظه الله- وسـمو ولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان، وسمو أمير منطقة مكة المكرمـة الأميـر خالد الفيصل، لتقـديم أرقى الخدمات لحجـاج بيـت الله الحرام حتى يـؤدوا مناسـكهم براحة وطمأنينة وسلام.

وواكبـت مهنة الطوافة التغيـرات والتطورات المتلاحقة، وكان لهـا تأثيرهـا علـى المنـاخ الخدمـي، وأصبحت كل مؤسسـة أو شـركة قلعـة خدميـة حصينة تسـتوعب كل

التغيـرات، وتتفاعـل مع المسـتجدات، وتُخْضَـع لتيارات التحديث واستخدام الشبكات المحلية والعالمية في تبادل المعلومات والبيانات وتسريع الخدمات للحجاج.

أصـدرتِ مؤخـراً كتابًـا بعنـوان (سـيدة المدائـن ودرة الأوطان) فما الهدف منه وما أبرز ما جاء فيه؟

حقيقـة لأنـه يقصـد مكة كلّ عام ملايـين الحجاج لأداء الركـن الخامـس مـن أركان الإسـلام، لـذا فـإن تقـديم الخدمات للحجاج هو من أشـرف الأعمال لسـكان مكة المكرمة عبر التاريخ؛ فمكة كانت ولا تزال سيدة المدائن لأنهـا تجمـع شـرف المـكان والزمـان في شـعائر متنوعة وأحـداث تاريخيـة عظيمـة؛ فيقصدهـا المسـلمون مـن جميـع أنحـاء العالم لأداء مناسـك الحـج والعمرة، مما حتـم الارتقاء بالخدمات للأعداد المتزايدة التي تقدمها الدولـة السـعودية منـذ تأسيسـها على يـد الباني الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سـعود – طيب الله ثراه– مروراً بأبنائه الكرام، حيث تجند الدولة السعودية كل عام إمكاناتها كافة، وتبذل الغالي والنفيس في سـبيل توفير أفضل الخدمات حتى يؤدي ضيوف الرحمن مناسـكهم براحة وطمأنينة وسـلام. وهي جهود يشـهد بها الداني والقاصي من المسـلمين؛ لذا فهي درة الأوطان، وأحببت إظهـار تلـك الجهـود في الكتاب، لتكون هـذه الإنجازات شاهداً على حقبة تاريخية لا مثيل لها على مر العصور مـن حيـث التوسـعات الضخمـة، وتوفير البنـى التحتية التي سـاعدت على تطور خدمات الحجاج؛ ومنها ظهور تنظيمات إدارية وهي مؤسسات الطوافة ونقل الطوافة مـن العمل الفـردي إلى العمل الجماعـي، وما كان لهذا مـن دور مميـز في تقـديم الخدمات يتواكب مـع الزيادة الهائلة في أعداد الحجاج.

ومـن منطلـق حرصـي الشـديد على كل صغيـرة وكبيرة في هـذا البلـد الحرام، فقد كتبت المقـالات تلو المقالات عـن مكة، والحج، والطوافة في عدة صحف محلية، عن أم القـرى وبلـد الله الحـرام، والحـرم المكـي الشـريف، والتوسـعات الضخمة، وما حدث من تطورات وخدمات مزدهـرة ومـا تحتاجـه مـن دعـم، والحـج بتنظيماتـه الإداريـة المختلفة. كما كانت هناك مقالات عن الطوافة وما يُبذل من جهود كبيرة في خدمة الحجاج، وعن عمل مؤسسـات الطوافـة، ودخـول المطوفـة للميـدان العملي في خدمـة ضيـوف الرحمن، وفي الوقت نفسـه الثغرات التـي كنت آمل تلافيها حتـى تكون الخدمات وفق أعلى مواصفات الجودة والتميز المؤسسـي؛ فهدفي الأسـاسـي التطويـر والارتقـاء بالخدمـات، وكان توفيـق الله لـي كبيـراً، حيـث تحققت الكثير من الآراء التي طالبت بها. هـذا وقـد آثـرت جمعها بـين دفتي كتاب لتكـون مرجعاً تاريخياً لحقبة من أهم الحقب التاريخية، وهي (مرحلة مؤسسـات الطوافـة)، ثم انتقالها إلى مرحلة الشـركات وفـق الرؤيـة السـامقة للدولـة ٢٠٣٠م في عهـد خـادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز –يحفظه الله– وقـد كان عرابهـا وربانهـا صاحـب السـمو الملكي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان. فكان الكتاب شاملاً علـى لمحـة تاريخيـة عن مكـة بلـد الله الحـرام، وآداب المسـلم في مكـة، ثـم نشـأة الطوافة والمراحـل التاريخية التـي مـرت بها، والعلاقـة بين المطوف والحـاج، كما تم وضـع مقـالات المؤلفـة عن مكـة والحج في عهـد الدولة السعودية، والطوافة في عهد مؤسسات أرباب الطوائف، ثم إعادة هيكلة مؤسسات أرباب الطوائف وتحولها إلى شركات، والبنى التحتية الضخمة التي قامت بها الدولة مـن التوسـعات الضخمـة للمسـجد الحـرام والمسـجد النبـوي الشـريف، وجسـر الجمـرات، وقطار المشـاعر، وقطـار الحرمـين، ومطـار الملـك عبدالعزيـز الجديـد بجـدة، ومطار الأمير محمد بـن عبدالعزيز بالمدينة، ثم التنظيمـات الإداريـة مثل مبادرة طريـق مكة، بالإضافة إلـى المبـادرات التقنيـة، وكل ذلـك لتسـهيل رحلة الحاج والمعتمر والزائر.

أبرز إسهامات علماء المسلمين في الحضارة الإنسانية

«كوك» يصدر كتابه «أصول الفكر التربوي الإسلامي»

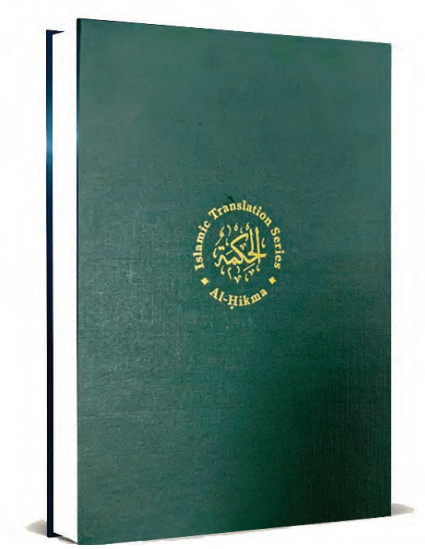

إعداد: د. محمد تاج العروسي

صدر كتاب «أصول الفكر التربوي الإسلامي» Classical Foundations of Islamic Educational Thought لمؤلفه البروفيسور برادلي جي كوك، رئيس الجامعة الأمريكية في البحرين، من مطبعة جامعة بريغهام يونغ عام ٢٠١٠م. ويمثل الكتاب قراءة جديدة للتراث العربي الإسلامي وتقديمه بلغة أخرى لتصل إلى القارئ الغربي، وفيه إبراز للحضارة العربية الإسلامية وإسهامها في مسيرة الحضارة الإنسانية.

والمؤلف خبرة أكاديمية وإدارية، حاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة في دراسات الشرق الأوسط، وتربو خبرته الإدارية على خمسة وعشرين عامًا في مجال التعليم العالي التكنولوجي، والخبرة الدولية والإقليمية في مجال التربية الإسلامية، عمل في مصر والإمارات العربية المتحدة ولبنان والبحرين، ولديه أبحاث علمية ومؤلفات حول مقارنة الأديان، والتعليم الدولي، ونظرية التربية الإسلامية، من بينها: الكتاب الذي بين أيدينا.

يبيِّن الكتاب مكانة التعليم في الإسلام، ومراحل تطوره منذ فجر الإسلام، وما حاق به من الجمود في العصور المتأخرة، ومدى تأثيره في المؤسسات التعليمية والنظريات التي ظهرت في أوروبا في القرون الوسطى رغم إغفال التاريخ لذلك الإسهام الفعّال، والنقائص الأخلاقية في التعليم العام من منظور إسلامي، إلى غير ذلك من الموضوعات لخصها المؤلف في المقدمة.

جمع المصنف في هذا الكتاب ثمانية كتب لعلماء تربويين حول الجهود التعليمية الإسلامية والتربوية، إلى جانب ترجمتها

باللغة الإنجليزية، وهم: «ابن سحنون في القرن التاسع، وإخوان الصفا في القرن العاشر، والقابسي ومسكويه في القرن الحادي عشر، والغزالي والزرنوجي في القرن الثاني عشر، وابن جماعة وابن خلدون في القرن الثالث عشر».

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة أشاد فيها بالمساهمة الفعالة للإسلام في مجال تطوير العلم، مع أنه لم يكن هناك نظام رسمي للتعليم في شبه الجزيرة العربية، وقد بُعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع تغلب عليه الأمية، ومع ذلك فأول ما نزل به جبريل عليه السلام من الوحي وأمره بالقراءة قوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم».

وذكر المؤلف أن التعليم الإسلامي فريد في نوعه، وكان يحتوي على كل ما يحتاج إليه المجتمع، سواءً كان اجتماعياً أم سياسياً أم اقتصادياً، ويعد القرآن المصدر الأساسي لجميع المعارف، كما أن الإسلام لم يكن مجرد جسر يربط بين الفكر اليوناني الهيليني المبكر والمدرسة الأوروبية في العصور الوسطى، بل أسهم أيضا في تحسين مجموعة من المعرفة، كالطب، وعلم الفلك، والفلسفة، والرياضيات، والموسيقى، والهندسة المعمارية، وعلم الخرائط والهندسة، ونقَل تلك المعارف من العربية إلى اللاتينية، كما أنتج علماء ومفكرين كانت لهم جهودهم في فلسفة التعليم، وتطوير النظريات التعليمية التي ظهرت في أوروبا.

أما الغرض من الكتاب فبيَّن المؤلف أنه يهدف إلى تسليط الضوء على التراث الفكري الذي أسهم به العلماء والفلاسفة المسلمون، إضافة إلى جمع بعض النصوص العربية التي تعد الأكثر تأثيرا حول التعليم، والتي كانت غير متوفرة لجمهور الناطقين بغير اللغة العربية في العصور الوسطى، وكانت جديرة بالاستفادة منها.

وذكر أن طريقة التدريس الأولية للقرآن كانت بسيطة جدا، بحيث يجلس الطلاب على السجاد القش وأغلبهم في سن مبكرة لا يتجاوز الرابعة، ويعلمهم المعلم القرآن إضافة إلى الواجبات الدينية الأساسية، مثل الوضوء الشرعي والصوم والصلاة، أما البنات فيتم تعليمهن في الغالب بواسطة الأقارب من الذكور.

وذهب إلى أن التعليم الإسلامي مرَّ بمراحل مختلفة؛ الأولى: التعليم الابتدائي «الكُتّاب»، وكان يقام في أماكن متنوعة مثل المنازل الخاصة، والخيام، أو حتى في العراء، ويموَّل في الغالب عن طريق الوقف من أهل الخير، وغالبا ما يكون مرتبطاً بالمساجد لتعزيز البعد الديني.

جاءت بعد ذلك المرحلة الثانية، وهي التعليم العالي «المدرسة»، وكانت نقطة تحول في تطوير التعليم. وبدأ هذا التحول الجوهري في العام ١٠٦٣م الموافق ٤٥٨هـ، مع تأسيس المدرسة النظامية في بغداد على يد نظام الملك، وزير السلاجقة، وتتميز بالعلاقة الوثيقة بين الطالب والمعلم، التي تعد من السمات الأساسية في المدرسة، حيث يعتبر التفاعل المباشر والدائم بينهما أمرا حاسما للنجاح التعليمي.

وكان الهدف الأساسي من إنشائها: المحافظة على سكينة المساجد وتوفير بيئة تعليمية مناسبة، إضافة إلى دافع إيديولوجي وراء تأسيسها؛ حيث استخدمها النظام السني السلجوقي أداةً للحد من تقدم الإيديولوجية الشيعية التي كان يروج لها الخلفاء الفاطميون في مصر، وتعزيز عقيدة السنة، والدفاع عنها، كما أنها تهدف إلى تدريب الخريجين ليصبحوا موظفين مدنيين مخلصين يلبون الاحتياجات البيروقراطية للإدارة السلجوقية، إضافة إلى تخريج القضاة والوزراء والمسؤولين الإداريين الذين أسهموا في تعزيز البنية الإدارية للدولة، وكان لها دور بارز في تعزيز النهوض بالعلوم الدينية والأكاديمية، وأصبحت نموذجا تعليميا مؤثرا أسهم في تطوير المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي وخارجه.

ويشير إلى حدوث تحول بعد القرن الثالث عشر في التعليم الإسلامي؛ حيث تراجعت روح الاستقصاء والفكر النقدي الحر التي اتسم بها العصر الذهبي، والذي كان موجودًا قبل ذلك، فأصبح التعليم مقتصرا على النقل، ومعاديا للبحث والاستفسار العلمي.

وفي نهاية المقدمة أشاد المؤلف بجهود المشاركين معه في إنجاز هذا الكتاب، مبينا كذلك أهمية الكتاب وطرق إعداده فقال: «إن هذه المختارات الأدبية حول موضوع نظرية التربية الإسلامية هي نتيجة لعدة سنوات من التعاون مع مختلف التربويين المسلمين وغير المسلمين»، ثم تقدم بالشكر الجزيل للزملاء في المعهد الدولي للفكر الإسلامي في هيرندون، فيرجينيا، على تعاونهم معه.

وقال: إن هدفنا من هذا الكتاب هو تقديم مجموعة من المختارات حول موضوع النظرية التربوية الإسلامية في مجلد واحد، لتعريف الطلاب والدارسين ببعض أهم المصادر الأساسية في هذا الموضوع، مع استبعاد بعض الأعمال القيمة والمفكرين الرئيسيين على الرغم من توقع انتقادات بشأن هذا الاستبعاد، ونعتبر ما تضمنه هذا الكتاب تحفة فنية بالنظر إلى تأثيره على العلماء الآخرين، كما أن المئات من الاستشهادات بهذه الأعمال في حاشية الدراسات الأخرى تشير إلى مدى انتشار تأثيرها.

وقال: إن عدم توفر الأعمال المختارة على نطاق واسع للجمهور الناطق باللغة الإنجليزية، هو من أهم التحديات، ولذا أردنا التركيز على مساهمات العلماء في العصور الوسطى المتعلقة بالتعليم، وربما يتم لاحقًا إصدار مجلد ثانٍ يستخدم مواد أكثر معاصرة.

ونظرًا لكون النصوص العربية في العصور الوسطى ليست بالمهمة اليسيرة، فقد آثر المحررون أن يكون المشروع جهدًا تعاونيًا يشارك فيه أكثر من مترجم واحد، وقد صرح هلمي ريتر قائلًا: «المترجم المنفرد يقع بسهولة في شراك الخداع التي لا مفر منها والمتربصة بالمترجمين عن هذه اللغة الملتبسة، وإن التعاون بين اثنين أو أكثر من العلماء يوفر على الأقل بعض الحماية من الضياع في متاهات اللغة العربية».

ثم ساق المؤلف ترجمة مختصرة لأصحاب الكتب الثمانية الذين اختار كتبهم وجمع نموذجا منها في كتابه، وتحدث عن نشأتهم وطرق دراستهم، وعن مشايخهم، وما يتميز به كل من هؤلاء العلماء من الجهد الكبير في سبيل نشر العلم، إلى جانب الاهتمام بالتربية العملية للنشء خاصة، وآداب طالب العلم عامة.

الجزء الثاني من الكتاب: عرض أنموذج من كتب العلماء التربويين الثمانية باللغتين العربية والإنجليزية، وهذه الكتب تتفق في مجملها في معالجة القضايا التربوية للنشء، وفي التركيز على آداب طالب العلم، والمعلم، وإن كان هناك اختلاف في طريقة الطرح مع تركيز كل واحد على جانب من تلك الجوانب إضافة إلى موضوعات انفرد بها كل مؤلف وعالجها بالتفصيل، وذلك على النحو التالي:

أولاً: كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون:

بيَّن المؤلف فيه فضل تعليم القرآن، وساق أدلة في ذلك منها حديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وما رُوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»، فقال: «كل من تعلم القرآن وعلمه فهو ممن اصطفاه الله من بني آدم». وتكلم كذلك عن العدل بين الصبيان في التعليم، وعن تأديب الطالب وبيان الحد الأدنى من ذلك، وضرورة تجنب الضرب على الوجه أو الرأس، ثم تكلم بالتفصيل عن آداب التعليم، وما ينبغي أن يُعَلّم الطفل مما يتعبد به الله تعالى، وكذلك سنن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عقد فصلا تكلم فيه عن إجارة المعلم ومتى تجب، وكذلك إجارة المصحف وكتب الفقه وما شابهها، وذكر آراء الفقهاء في ذلك.

ثانياً: كتاب الرسالة لإخوان الصفا:

اختار المؤلف الجزء المختص بالقسم الرياضي في الصنائع التعليمية، وفيه فصول: ففي الفصل الأول بيان مثنوية الإنسان، أي أنه مكون من جسد جسماني، ونفس روحانية، وهما جوهران متباينان في الصفات، متضادان في الأحوال، ومشتركان في الأفعال العارضة والصفات الزائلة، فجسده يتمنى البقاء في الدنيا والخلود فيها، ونفسه الروحانية تتمنى الرجوع للدار الآخرة.

ثم فصل الكلام في الصفات المختصة بكل منهما، فالجسد: جوهر جسماني طبيعي ذو طعم ولون ورائحة، وثقل وخفة، وأما النفس: فجوهرة روحانية سماوية نورانية حية بذاتها فعالة بالطبع، قابلة للتعاليم، ثم إنها تاركة لهذه الأجسام

مفارقة لها وراجعة إلى عنصرها، ومعدنها ومبدئها كما كانت إما بربح وغبطة، أو ندامة وخسران، كما ذكر الله عز وجل بقوله: «كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة».

وفي الفصل الثاني: بيان أجناس العلوم التي يتعاطاها البشر، وهي ثلاثة: الرياضية، والشرعية، والفلسفية، وتكلم عن كل علم بالتفصيل، مبينا أنواعه والمجالات التي وضع فيه كل فن، وخواص كل علم وكيف يُنتفع به. وفي الفصل الثالث تحدث عن العلوم الإلهية وقسمها إلى خمسة أنواع، وفصل الكلام فيه.

ثالثاً: كتاب الرسالة للقابسي:

تحدث فيه المؤلف عن أحوال المتعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين، وبدأ ببيان الباعث له على التأليف، ثم تطرق لفضل كتاب الله تعالى، ومكانته، وثنى بذكر أحاديث وردت في فضل من تعلمه أو علم غيره، ثم تكلم عن ضرورة تعهد القرآن لمن وفقه الله لحفظه، وعن أهمية تعليم الأولاد للعلوم الشرعية، ساق بعد ذلك أقوال العلماء في جواز أخذ الأجرة على التعليم وعدم جوازه، ثم تطرق لأقوالهم في جواز ضرب الطالب، وعدم جوازه، والقدر الجائز لمن أجازوه، وعن الاختلاط بين الذكور والإناث في التعليم. وقال: إن قراءة القرآن بصوت جماعي جائزة على وجه التعليم، ولكن الأفضل قراءة كل واحد على حدة حتى يستطيع المعلم أن يميز بين القوي والضعيف في الحفظ، ويرى ضرورة تعليم الطلاب آداب حمل القرآن كالحفاظ على الطهارة عند القراءة، وعدم حمل المصحف إلا على وضوء.

رابعاً: كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه:

عقد المؤلف في البداية فصلا بعنوان: سبيل العاقل إلى بلوغ كماله، وقال: إن أهم ما ينبغي للإنسان لبلوغ ذلك هو: العلم، والزيادة في المعقولات، والصدق في الآراء، وقبول الحق حيث كان، ومع مَنْ كان، والنفور عن الباطل والكذب، كيف كان ومن أين جاء.

ثم تحدث عن تأديب الأحداث والصبيان على الآداب الشرعية، وبين فوائد ذلك بالتفصيل، وقال: هي نافعة للكبار أيضا وإن كان نفعها للصغار أكبر؛ لأنها تعوضهم محبة الفضائل وينشؤون عليها فلا يثقل عليهم تجنب الرذائل، ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما تترسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة. ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم إليه من الملذات القبيحة، وتكفهم عن الانهماك في شيء منها، وترقيهم إلى معالي الأمور كالتقرب إلى الله ومجاورة الملائكة مع حسن الحال في الدنيا، وطيب العيش وجميل الأحدوثة، وقلة الأعداء، وكثرة المادحين والراغبين في مودته من الفضلاء خاصة.

خامساً: كتاب أيها الولد للغزالي:

والكتاب وُضع على شكل سؤال وجواب، ركز فيه المصنف على الآداب التي ينبغي التحلي بها لطلبة العلم عامة وللنشء خاصة، وبدأ بتقديم النصيحة لهم بضرورة العمل بالعلم، وأن العلم بمفرده لا ينفع الإنسان إن لم يكن مشفوعا بالعمل، وساق في ذلك أدلة من القرآن والسنة. ومما ذكر في ذلك قوله: «أيها الولد: العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون، واعلم أن علما لا يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة لن يبعدك غدا عن نار جهنم»، ثم تكلم عن مرض الجهل، وتحدث عنه بالتفصيل، وتناول كيفية علاجه، ثم فصل الكلام في النصائح العامة في طرق التعامل مع الناس على اختلاف أنواعهم، وتنوع طبائعهم.

سادساً: كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي:

جعل المصنف كتابه في فصول تحدث فيها عن ماهية العلم والفقه، وساق في ذلك أحاديث نبوية، وتكلم عن اختيار العلم والأستاذ والشريك، وقال: ينبغي أن يختار الطالب من كل علم أحسنه، مما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثم ما يحتاج إليه في المآل، وأن يختار المعلم الأعلم والأورع والأسن، كما اختار أبو حنيفة حماد بن سلمة رحمه الله بعد التأمل والتفكر، وقال: وجدته شيخًا وقورًا حليما ثبورا، وقال: ثبتُّ عنده فنبَتّ. وتحدث عن تعظيم العلم وأهله فقال: لا يُنال العلم ولا يُنتفع به إلا بتعظيمه وأهله، والجد والمواظبة في طلبه، وهذا الذي يفيده قوله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»، وذكر أن على الطالب الاهتمام بالتكرار

في القراءة في أول الليل وآخره، فإن ما بين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك، ولا يجهد نفسه جهدا كبيرا، وأن يُبتدأ بشيءٍ يكون أقرب إلى فهمه وضبطه، وأبعد عن الملل والكسل، وعليه بالمناظرة والمطارحة، فالعلم يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف، وكثرة السؤال لما أشكل عليه؛ قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم أدركت العلم قال: «بلسان سؤول، وقلب عقول»، وقال: إن مما يورث الحفظَ الجدُّ والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل وقراءة القرآن.

سابعاً: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة:

بدأ المصنف بالحديث عن حسن الأدب، وذكر أنه من أهم ما ينبغي أن يبادر إليه طالب العلم، ثم حثَّ عليه العلماء قائلا: إن أحق الناس بهذه الخصيلة وأولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة أهل العلم الذين وصلوا به ذروة المجد والسنا، وأحرزوا به قصبات السبق إلى ورثة الأنبياء لعلمهم بمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه، وحسن سيرة الأئمة الأطهار من أهل بيته وأصحابه، وبما كان عليه أئمة علماء السلف ومن اقتدى بهديهم فيه من مشايخ الخلف.

وتحدث كذلك عن فضل العلم وأهله وشرف العالم ونسله، وعن آداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه، وعن آداب المتعلم مع شيخه ورفقته ودرسه، وعن مصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الآداب، وكذلك عن آداب سكنى المدارس، وأنه ينبغي للعالم أن يصون العلم كما صانه علماء السلف، ويقوم له بما جعله الله تعالى له من العزة والشرف، فلا يذهب به إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة أو حاجة، فإن دعت الحاجة إلى ذلك، أو اقتضته مصلحة دينية راجحة على مفسدة فلا بأس، وعلى هذا يُحمل ما جاء عن بعض أئمة السلف من المشي للملوك، وولاة الأمر، كالزهري والشافعي وغيرهما.

وقال: ينبغي لطالب العلم أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام، والمندوبات الشرعية القولية والفعلية، وأن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة، ويعمره بالأخلاق المرضية. ولا يضيع شيئا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة من أكل ونوم أو تحصيل قوت وغيره مما يحتاج إليه، ثم تكلم عن آداب الجلوس في مجلس الدرس من الطهارة والتوجه إلى طلبة العلم والبدء معهم بأهم الدروس، وتكلم عن طريقة إلقاء المعلم الدرس، وضرورة توضيح المسائل بالشرح بالأمثلة وذكر الأدلة. وإذا فرغ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل على الطلبة يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم، فمن أظهر استحكام فهمه له شكره، ومن لم يفهمه تلطف في إعادته له، وألا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض في مودة أو اعتناء، فإن ذلك ربما يوحش منه الصدر وينفر القلب، فإذا كان بعضهم أكثر تحصيلا أو أشد اجتهادا أو أحسن أدبا فأظهر إكرامه وتفضيله فلا بأس عندئذ.

ثامناً: مقدمة ابن خلدون:

عقد المصنف فصلاً تكلم فيه عن الفكر الإنساني، وقال: إن الله سبحانه وتعالى ميَّز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله على الكائنات. وقال إن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله تعالى كما فطر سائر مبتدعاته، وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ، تارة يكون مبدأً للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب، وتارة يكون مبدأً لعلم ما لم يكن حاصلا بأن يتوجه إلى المطلوب، وقد يصور طرفيه ويروم نفيه، أو إثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر إن كان واحدا، وينتقل إلى تحصيل آخر إن كان متعددا، ويصير إلى الظفر بمطلوبه، هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميَّز بها البشر من بين سائر الحيوانات.

ثم تكلم عن التأليف فقال: إن كثرته عائقة عن التحصيل، لما فيه من اختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، فيحتاج المتعلم إلى حفظها، ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور، كما أن الاختصارات مخلة أيضا بالتعليم، بحيث يتم فيها اختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة فتجدها صعبة عويصة.

ثم تكلم عن أهمية تلقين المتعلم على التدريج شيئا فشيئا، بحيث يلقي عليه المعلم أولاً مسائل معدودة من كل باب، هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرِد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم.

وتكلم عن أهمية البدء للنشء بتعليم القرآن، وقال: إن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، فتعليم الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده؛ لأن السابق للقلوب كالأساس للملكات.

ثم تكلم عن معاملة المعلم للطلاب فقال: إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم سيما صغار السن، لما يترتب عليها من المفاسد الكثيرة التي تعود على النشء بالضرر النفسي والفكري، فقد تدفع الطالب إلى الكسل، وتحمله أيضا على الكذب والتظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وتعلمه المكر والخديعة لذلك حتى تكون له عادة وخلقا، وإذا كان لا بد من تأديبه فلا يزيد في ضربه على ثلاثة أسواط.

وساق قصة طويلة في الأدب، وقال: من أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين، فقال: «يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته مبسوطة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن وعرفه الأخبار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه... ولا تمرنك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة» انتهى..

ثم تكلم عن حَمَلَة العلم في الملة الإسلامية، وقال: إن أكثرهم العجم إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته، فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي، وتكلم عن أسباب ذلك بشيء من التفصيل مع ذكر الأمثلة للعلماء الذين برزوا في كل فن من الفنون الإسلامية في العصور المختلفة.

خاتمة:

ينبهنا المحتوى الذي تضمنته كتب التراث الثمانية إلى جمعها بين الأصالة والمعاصرة، فهي توصف بالجدة، مع تطاول الزمن. لننظر مثلا إلى سبقهم في مناقشة قضايا تشغلنا بشدة في وقتنا الحاضر مثل: إلزامية التعليم، والفرق بين التربية والتعليم، وتعليم البنات، والاختلاط، وتأديب المتعلمين.

وهناك نظرتهم للمعلم وفضله. روى القابسي حكاية عن ابن وهب أنه قال: كنت جالسًا عند مالك فأقبل عليه معلم الكُتاب، فقال له: يا أبا عبد الله، إني رجل مؤدب الصبيان، وإنه بلغني شيء، فكرهت أن أشارط، وقد امتنع الناس عليَّ، وليس يعطونني كما كانوا يعطون، وقد اضطررت بعيالي وليس لي حيلة إلا التعليم، فقال له مالك: اذهب وشارط، فانصرف الرجل. فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد الله تأمره أن يشترط على التعليم؟ فقال لهم مالك: نعم فمن يمحِّط (يصلح) لنا صبياننا؟ ومن يؤدبهم لنا؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن؟

ولنتأمل ما انتهى إليه العلامة ابن خلدون من تفصيلات وهو يشرح مقاصد العلوم، ويعرض نظريات عميت عن كثير من التربويين في عصرنا الحديث، ثم هناك عنايته بالاستشهاد المرجعي السليم حين يتحدث عن «تحصيل العلوم من أهلها».

لقد أنتجت الحضارة الإسلامية نماذج من علماء جمعوا بين الورع الديني وامتلاك ناصية المعرفة في مختلف التخصصات، وكما يؤكد الدكتور برادلي فهناك ميراث من العلم المتخصص العميق في فلسفة التعليم والتربية، وهي لا تستمد قيمتها فقط من أصالتها، بل أيضًا من تأثيرها العميق في المؤسسات التعليمية والتربوية التي نشأت في أوروبا.

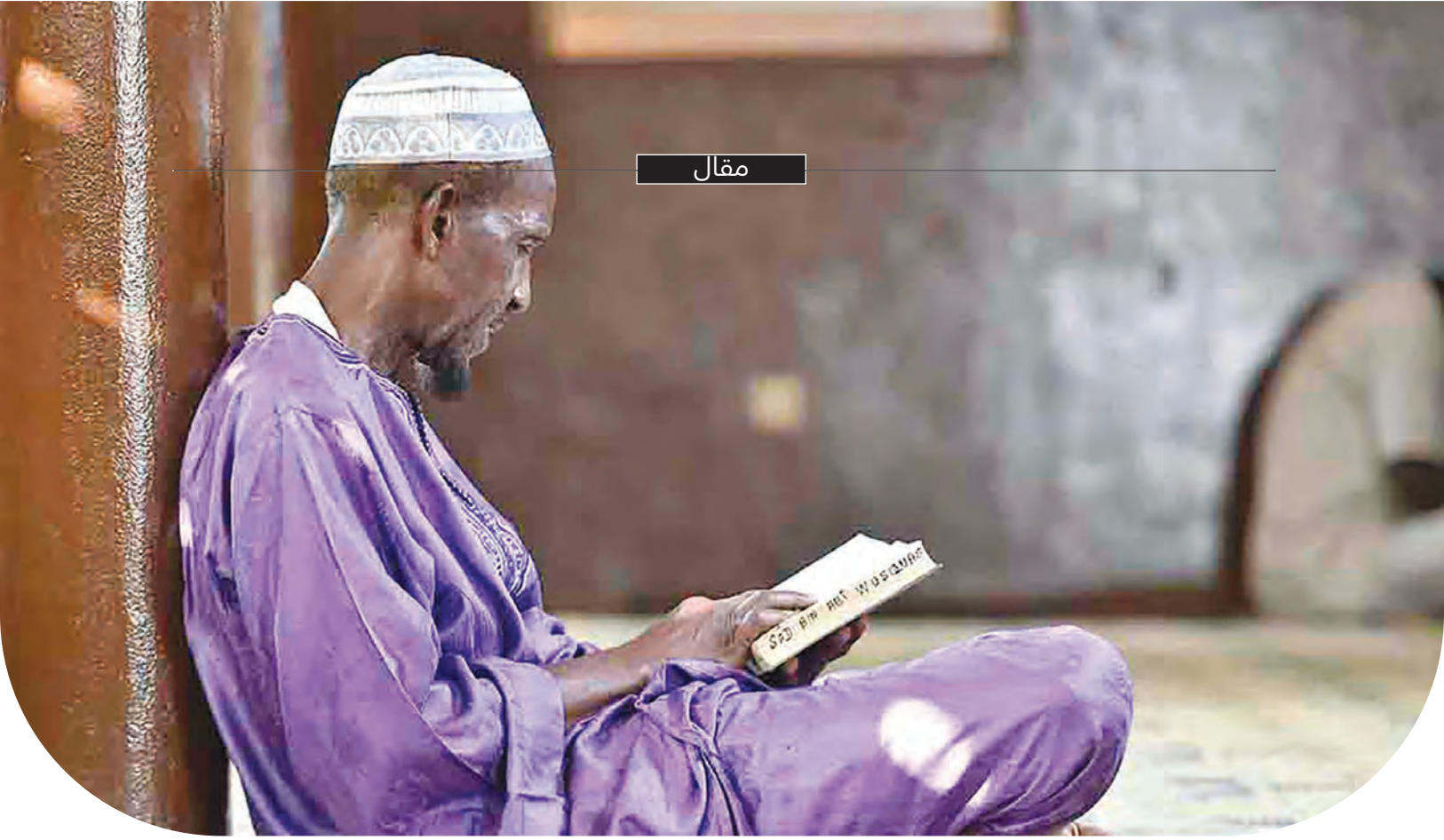

شكّلت هوية المجتمع دينياً وثقافياً

السنغال: نداءات باعتماد «العربية» لغة رسمية للبلاد

بقلم: محمد سعيد الغامدي ـ جدة

تطرقت بعض وسائل الإعلام إلى سعي السنغال لتأكيد وجود اللغة العربية لغة وطنية لها حضور منذ مئات السنين، وذلك عبر الرغبة في اعتمادها لغة رسمية للبلاد. والسنغال دولة إفريقية تتناغم على ثراها وفي قلوب أبنائها لغتان تتلاقيان في عناق تاريخي قديم جديد، تاريخ امتزجت فيه حروف القرآن بنطق وبشفاهية لغة الولوف، فغدت هذه اللغة الشفهية ومع الوقت لغة مكتوبة من خلال الحرف القرآني العربي.

إن السنغال، الدولة الإفريقية الإسلامية الشقيقة، تتمتع بوجود لغتين لهما مكانتهما المجتمعية القوية؛ بين لغة محلية محكية لها حضورها الكبير على المستوى الشعبي السنغالي أي لغة الولوف، ولغة الدين والصلوات والشعائر لغة القرآن اللغة العربية، لغة الثقافة الإسلامية ولغة الكتابة والتدوين منذ دخول الإسلام لهذا البلد منذ ما يقارب ١٤ قرناً هجرياً. أما اللغة الفرنسية فبدأ استعمالها في السنغال من منتصف القرن التاسع عشر. لذا فمن الطبيعي للسنغال التي ٩٥٪ من سكانها مسلمون متمسكون بدينهم ويمارسون شعائرهم، أن تسعى لاعتماد اللغة العربية لغة وطنية جنبا إلى جنب مع اللغة المحلية الأكثر تحدثا على مستوى البلاد لغة الولوف، دون أن ننسى أن اللغة العربية هي جزء من هوية المجتمع السنغالي الدينية والثقافية منذ مئات السنين.

إن الموقع الجغرافي للسنغال في جنوب غرب إفريقيا، وكونها

قريبة من موريتانيا والمغرب الدولتين العربيتين على المحيط الأطلسي، إضافة لما تحتويه السنغال من إرث إسلامي كبير، يجعل للغة العربية مكانة وأولوية على اللغات الأجنبية. وكما علق كل من سامبا امار، وديالو امادو تيداني من أنه «يبدو من الصعب التفريق بين تاريخ الإسلام في السنغال والسنغال نفسها، حيث يتضح لنا من أن الإنسان السنغالي منذ القرون الماضية لا ينفصل عن الإسلام. فتاريخ الإسلام في السنغال يختلط بالذات السنغالية نفسها منذ اعتناق الشعب السنغالي الإسلام». يضاف إلى ذلك ما أكدته بعض الدراسات من أنه مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كانت نسبة المسلمين السنغاليين تصل إلى ٩٠٪ من إجمالي السكان. (أحمدو تيداني ديالو: العرب والإسلام في السنغال. مقاربة تاريخية واجتماعية وثقافية. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم ٣٨، ٢٠٠٨م ص٧٤).

ولو عدنا إلى تاريخ السنغال ما قبل العصر الإسلامي نجد أن المجتمع السنغالي لم يكن يعرف الكتابة، فتاريخهم كان كله شفوياً مثل كثير من بلدان القارة السمراء، ولكن مع دخول الإسلام في هذا البلد برزت الكتابة والتدوين، فبدأ يتكون إرث ثقافي سنغالي مكتوب، جله كان بالعربية، أو بالحرف العربي، وبرز منهم كُتاب وشُعراء. بذلك يتأكد أن العلاقة بين اللغة العربية واللغة الولوفية هي علاقة تكاملية في مختلف الميادين، فهناك أصوات غدت متشابهة بين العربية والولوفية، إضافة إلى أن ٥٠٪ من مفردات اللغة الولوفية ذات جذور وأصول عربية، مثل أيام الأسبوع وغير ذلك.

ولا ننسى هنا أشهر مدير عام لمنظمة اليونسكو الدكتور أحمد مختار أمبو السنغالي الجنسية، وهو من أهم المدافعين عن الحرف القرآني العربي في الثقافات الإفريقية، فقد دافع عن الحرف العربي في أروقة الأمم المتحدة وخاصة في اليونسكو. كذلك رئيس البنك الإسلامي للتنمية، السعودي الدكتور محمد أحمد علي، الذي نادى بتبني فكرة إعادة نشر الحرف العربي لكتابة اللغات الإفريقية، وطرح فكرته على الدكتور أحمد مختار أمبو، وبذلك وقعت اليونسكو مع منظمات شريكة على المشروع الإقليمي لليونسكو في إفريقيا (بريدا) بهدف استعمال الحرف العربي في مكافحة الأمية في إفريقيا. وبالنسبة لمنظمة الوحدة

الإفريقية، نجد أن المادة ٢٩ من ميثاقها تنص على أن الحرف العربي تراث إفريقي، ينبغي أن يُقدم على أي حرف آخر عندما نتحدث أو نكتب تاريخ إفريقيا.

إن وجود الحرف العربي على المستوى الإعلامي السنغالي يتأكد أيضًا من خلال ظهور صحافة عربية مثل المجلة الحكومية «المسيرة»، ومجلة «الأفكار» الناطقة باسم الاتحاد الوطني للكتاب والصحفيين السنغاليين الناطقين بالعربية. ويكفي أن صحيفة الشمس العريقة (لو سولي) ظلت تصدر بالأحرف العربية وقتا طويلا. في الحقيقة اللغة العربية في السنغال تمتلك ماضيًا حافلًا وحاضرًا مشرقًا ومستقبلا مثمرا، فيكفي أن تراها في نمو وحضور متزايد، يثبت ذلك انتشارها من خلال دعم الجهات الحكومية هناك، فهناك المدارس في مختلف مراحل التعليم تهتم بتعليم الدين الإسلامي، وكذا الكليات والمعاهد وكليات الإدارة.

وحسب بعض المصادر فإن اللغة العربية في إفريقيا وخاصة في السنغال ليست حديثة، بل تمتد جذورها لعدة قرون، منذ ظهور مملكة كانم ومملكة باقرمي ومملكة وداي في تشاد التي تمددت للمناطق والأقاليم المجاورة، ومنها السنغال. ومعروف أن طرق القوافل التجارية التي جابت أصقاع إفريقيا لها دور في

نشـر الدين الإسـلامي واللغـة العربية؛ فعلى سـبيل المثال طريق القوافل الذي يبدأ من مدينة أغادير المغربية ويتجه جنوبا مرورا بواحات موريتانيا ويصل إلى السـنغال، إلى مصب نهر السـنغال، تأسسـت على امتداد هذه الطرق منارات للدين والعلم والمعرفة، فطرق القوافل التجارية هذه التي على طول وعرض دول الغرب الإفريقـي أصبحـت تتميـز بوجود عـدة مدن إسـلامية، وبرز من خلالها علماء ومثقفون، بل غدت مخازن للفكر وإبداعات العلماء والمفكرين الأفارقة.

إن الممالـك الإفريقيـة اختارت منذ زمن بعيد الدين الإسـلامي، فانتشـرت اللغة العربية والعلوم الدينية بينهم على نطاق واسـع، وغـدت اللغة العربية بمثابة رابـط علمي ثقافي ديني ولغوي، وفي هذا الشـأن يقول المؤرخ الفرنسـي الفونس قويلي: «إن الإسـلام هـو الأصـل في قيـام الدولـة الإفريقيـة وازدهار حضارتهـا، وإنه بالإسـلام بدأ العصـر التاريخي المدون لإفريقيا السـوداء، وعمل الإسـلام علـى تهذيـب العـادات وقضـى علـى الحيـاة البدائيـة والتقاليـد الوثنيـة، وأدى ذلـك إلـى اتصـال تلـك الـدول بالـدول المجاورة وبأرقى الحضارات آنذاك أي بالحضارة الإسلامية».

ويقول هنري أوكافور «عندما جاء الاستعمار الأوروبي إلى غرب إفريقيا، كان المثقفون الإفريقيون يكتبون ويقرؤون باللغة العربية، وكانت المدونات والسجلات التاريخية مكتوبة باللغة العربية».

«الولوف» ومكانة لغتهم على المستوى الوطني

يشـكل الولوف في السـنغال «ما نسـبته ٤٠٪ من مجموع السكان، وهـم مسـلمون سـنة على المذهـب المالكي، وبعضهـم يتبع الطرق الصوفيـة وخاصـة الطريقة المريدية التي أسسـها الشـيخ أحمد بمبـا، والتـي هـي أكبـر الطـرق الصوفيـة في السـنغال». (جيرنو أحمـد جالـو (٢٠١٥): الأمثال الولوفية بين الإيجابية والسـلبية، سلسـلة الإسـلام في إفريقيـا، العـدد (٢٨، ص. ص ٥٥- ٥٦)، والولـوف هـم فئـة متعلمة متشـبعة بالدين الإسـلامي، لهم تأثير ثقـافي علـى مسـتوى البـلاد لدرجـة أصبحـت لغتهـم لهـا المكانة الأولى، حيث إن ٨٠٪ من الشـعب السـنغالي يتحدثون هذه اللغة، مـع العلـم أن هنـاك مـا يقـارب ٣٦ لغـة علـى المسـتوى الوطني. لـذا فاللغـة الولوفيـة هي لغة غالبية سـكان السـنغال، بل وبعض الـدول المجـاورة لها، وتكتب هذه اللغة المحلية بالأبجدية العربية، وأن نطـق بعـض الأحـرف العربيـة يأخـذ اللكنة الولوفيـة. ولكن مـع الوقـت تم البدء وببطء بإدخـال الحروف اللاتينية على اللغة الولوفية، أي بدءا من منتصف القرن العشرين.

نختم هنا فنقول: إنه من حق السنغال أن تتخذ من لغتها المحلية الأكثر انتشارا على مستوى الوطن لغة رسمية لها، وأن تختار بناءً على دين غالبية سكانها، اللغة العربية أيضا، وبذلك يكون هناك تبادلية وتكامل بينهما.

فحسب دراسة أجراها مركز اللسانيات التطبيقية بجامعة داكار حول اللغات المحلية، أشارت الدراسة إلى أن ٨٣٪ من السنغاليين يتكلمون الولوفية المنطوقة الأوسع انتشارا، فهي لغة محكية، لغة تعامـل وتواصـل شـفوي بـين أفـراد المجتمـع؛ لكن عندمـا بدأت كتابتهـا وتدوينهـا أصبحت تكتب بالعربية، حيـث يتبادل الأهالي رسـائلهم وشعرهم الشعبي بل وتدوين تاريخهم بالعربية المطعمة باللكنـة الولوفيـة. وهناك من كتب بالولوفية مثل الشـيخ موسـى كاه الشـاعر العمـلاق الـذي قـدم لأمتـه أعمالا جليلـة في زمانه، وعندمـا انتقـده بعض الناس في اتجاهه في الكتابة بالعربية، قال «العربية والولوفية، لغتان جميلتان، لأنهما تعكسان فضائل وعلوم بني الإنسان».

لقد ألف العلماء السـنغاليون كتبا في العقيدة والفقه والتفسـير والأخـلاق والتصـوف والتاريـخ وعلـوم النجـوم والآداب باللغـة الولوفية المكتوبة بالحرف العربي، كقصائد الشيخ محمد الهادي توري، والشيخ أمباي جختي. (التعليم العربي والثقافة الإسلامية في إفريقيـا جنـوب الصحـراء، ص ٣٦٠). لهـذا يقـول أحـد كبار الشـيوخ المسـلمين وهـو الحـاج إبراهيـم نيـاس السـنغالي «اللغة الولوفيـة بالسـنغال أصبحـت بفضل القـرآن أداة تثقيف وتربية، فالحرف العربي اتخذه المسلم السنغالي مثل أخيه الإفريقي منذ قـرون لتدويـن ما يريد بلغته الولوفية» (دراسـات إفريقية، أبريل ١٩٨٧م، ص ٢١). لذا فاللغة العربية موجودة ومتأصلة في الذات السنغالية، وبذلك هي لغة وطنية.

اختلاف الرأي ليس باعثًا على العداوة والفرقة

بقلم: د. خالد برادة ـ المغرب

كان العلم وما يزال وشيجة قويّة بين العلماء، ولقد حدث الاختلاف بينهم قديما وحديثا، ومردّ ذلك إلى اختلاف نظرهم في القضايا، وتباين فهمهم للنصوص، وسعيهم إلى تطبيق القواعد، فنظروا في الأدلّة المتعارضة نظرة واعية مخلصة، وقاموا بترجيح الدّليل الأنسب.

والاختلاف الفكري القائم على البحث الدؤوب دليل جهد علمي، يتيح حرية الرأي بهدي خلقي إسلامي، ويسعى إلى تجلية الحقيقة بعد بحث مستوعب، وتمحيص دقيق.

ولم يكن الاختلاف في الرأي باعثا على العداوة والافتراق، بل كان عاملا من عوامل الوحدة والأُلْفة، وإرشاد العقل المسلم، وازدهار الحركة العلمية؛ كما أن سعة الاختلاف تنشئ رجالا يقدّرون تباين وجهات النظر، ويرون ذلك طبيعيا لا نشاز فيه، فيخدمون الحقيقة المنشودة، ويحافظون على حرية الفكر المتّزن، ويكون النقد الهادف ميدان التصويب والتقويم، وميزان التقدير والتكريم؛ حيث إن الرأي المخالف إذا لم يكن موضع قبول لدى فئة من الناس، فإن صاحبه يجد من يقدّر له بسط رأيه ودقة نظره، لأنه فتح مجالا آخر لإعادة النظر، وإعمال الفكر، وتعميق البحث، فيكون موضع حفاوة لدى المنصفين، حيث أمدّ الموضوع بوجهة أخرى من الرأي تتّسع لمزيد من البحث والتمحيص والبيان.

وإذا ابتعد الاختلاف عن طلب الحقيقة العلمية، انقلب إلى خلاف يبتعد بصاحبه عن الموضوعية؛ وإن مناقشة الرأي وتقليب النظر على وجوهه برويّة واعتدال، ومراعاة أدب الاختلاف، والاعتراف بالصواب لدى الآخر من سمات أولي العلم وذوي المروءة، بينما الجموح بالخلاف من القول إلى القائل، ومحاولة الغضّ من قدره، والتطاول عليه، ليضائل المنتقص من مكانة غريمه، فتلك مفسدة أخلاقية، بل إن النقد إذا كان ظالما فهو ثلب وتجريح يُعدّ جرما في ميزان الإسلام، لأنّ سلق المسلم بلسان حاد والتشنيع عليه مما نهى الإسلام عنه.

وأولى بمن يتصدّر للنقاش العلمي أن يسعى إلى بيان الحقيقة، وتصويب الخطأ، حتى لا يعتسف في القول فيؤذي مخالفه وينأى عن الصواب، فالإنصاف يسمو بصاحبه، وذلك من سمات القلب السليم، والعقل الرّشيد، وهو منهج المخلصين المنصفين.

ومما قد يلهب نار الشغب المقيت هو المناظرات العلنية مع من لم تتهيّأ نفسه لقبول صواب رأي الآخر، فيتعصّب لرأيه، ويكون ذلك مدعاة إلى التهجم، واستفحال الجدل المقيت والتعصب المذهبي، ومبعث ذلك هوى النفس، وجمود العقل، وجموح الرّأي، وقد نهى الله تعالى عن اتباع الهوى فقال: «فلا تتّبعوا الهوى أن تعدلوا» (سورة النساء: ١٣٥)، واعتبر الحق سبحانه أن من اتّبع هواه فقد ضلّ عن الهدى فقال: «ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله» (سورة ص: ٢٦).

وقد عُني العلماء بموضوع الاختلاف، ورأوا أن آفته جموح الهوى ومزالق الجدل، ومن أبرزهم الإمام أبو حامد الغزالي الذي دعا إلى الابتعاد عن الجدل، ما لم تصحبه رغبة صادقة للوصول إلى الحقيقة، على أن يكون المجادل متأدبا بأدب البحث والمجادلة، لئلا يكون العلم خصمًا على صاحبه يوم القيامة، واعتبر ذلك من مستلزمات المسلم، الذي يتّصف بأنه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (متفق عليه).

وإن ما يعين على التغلّب على النوازع الذاتية في معرض الحوار هو الطهارة القلبية، التي تعصم المسلم من الشطط والتعسّف، وتخلّصه من تضخّم الذاتية، وتمرّد الأنانية، مع استحضار المتحاورين والمتناظرين أنهم طلاّب الحقيقة، فيبدون آراءهم في حيدة وإنصاف.

وهكذا يكون القلب السّليم النابض بأنوار الهداية، والعقل البصير، باعثا على تلاشي الأهواء، ومزالق الجدل المندلع من جموح الرأي؛ ويحسن بالمسلم أن يتحلّى بخُلق الإنصاف، ويكون خير عون لأخيه في ميدان الحوار الهادف، والبحث النزيه.

وإن الإنصاف في معرض الاختلاف خُلُق إسلامي رفيع، يرشد إلى مواطن الحق، ويعين على السّير المتّئد في رحاب التفكير الرّصين، والحوار الملتزم، المؤيّد بالحجج والبراهين، دون صخب وانفعال، وهدف الحوار هو الوصول إلى الحقيقة، والتطامن لها، وتلك أخلاق الكبار؛ فالعالم الأصيل هو الذي يرحّب بمن يخالفه ترحيبه بمن يؤيّده، لأنه يدرك مدى نزاهة صاحبه، واستفراغه الجهد للوصول إلى الحقيقة، وكلهم باحث ناشد لها، ساعٍ إلى تجليتها، فينتهي بهما المطاف إلى تصحيح أحدهمًا بعض أفكار صاحبه، في ضوء المنهج العلمي السديد، فالاختلاف الفكري لدى المنصفين لا يمنع التقدير العلمي، وإن الباحث الحَقَّ هو الذي يهتف بالحِقِّ حين تلوح دلائله، فيصدر عن إنصاف لا عن إجحاف.

وأدب الاختلاف وأسلوب الحوار مما يحتاج المتحاورون والمتناظرون إلى تعلّمه وامتثاله، لأن غيابه يصيب النفس بالتعصّب، والعقل بالجمود، وذلك الأدب من جوهر الدِّين وسمات الخلق.

صحون العشاء!

بقلم: بدر محفوظ

ينظم الحج أموراً عدة في حياتنا اليومية المختلفة، يأتي في مقدمتها حسن الإدارة والتحكم بكل التفاصيل في أي عمل نؤديه صغر ذلك العمل أم كبر، ما يفضي إلى الإتقان والجودة، وعدم ترك أي شيء لعوامل القدر أو المصادفة.

ولعل من المواقف المضحكة والمبكية في هذا الشأن والتي عشت ألمها وقسوتها، إحدى مناسبات الزواج التي دعيت لها من أحد الأصدقاء الذي كان يعمل معنا في نفس المدينة التي نسكن فيها، ولكن زواجه كان في إحدى القرى النائية، حيث تعيش أسرته إضافة إلى أهل عروسه الجديدة.

ونظرا لعدم وجود مطابخ مجهزة أو طباخين مهرة في تلك القرية النائية، طلب مني ذلك الصديق أن أوفر له طاهياً ماهرًا.

وفعلا اتفقت مع أحد الطهاة المهرة أو من يطلق عليه في أيامنا هذه (الشيف) على إعداد وليمة العشاء ليلة العرس، واعدا إياه بمكافأة مجزية خلاف أجره المتفق عليه مسبقا إن أحسن إعداد الطعام، ونال رضا واستحسان المدعوين.

جاء اليوم المنتظر وانطلقنا أنا وذلك الطباخ ومعه فريق عمله، مع ساعات الصباح الأولى عبر طريق طويل يمر بين الأودية والجبال، حتى وصلنا عند الظهر إلى تلك القرية، وكان في استقبالنا العريس وحشد من الناس، فرحين مستبشرين بمقدمنا الميمون، فنحن وبلا شك أصبحنا العامل الأول والرئيس بل وحجر الزاوية في إنجاح ليلة العمر.

بدأ الطاهي وفريق عمله على الفور بالتجهيز والترتيب لإعداد الطعام، وبمجرد وصولنا، كانت الذبائح المعدة لوليمة العشاء هي الأخرى قد وصلت، وبدأت أرقب المشهد من بعيد، بين خوف وقلق شديدين رغبة مني في إنجاح ليلة صديقي.

مضت الساعات وبدأت جموع المدعوين مع غروب الشمس تتوافد على موقع العرس، وأنا لم أعد مشغولا بشيء سوى ذلك الطباخ وفريقه المباشر، حتى أوشك الطعام على التمام والكمال، وهنا كانت المفاجأة التي أذهلتني وأصابتنا جميعًا في مقتل.

فعندما بدأت مرحلة تجهيز الطعام، لتقديمه للحاضرين، صرنا نركض هنا وهناك نبحث عن الصحون التي يتم فيها توزيعه على الحضور، أصبنا بالذهول عندما فوجئنا بأن الطباخ قد نسي صحون العشاء وتركها خلفه في المدينة.

أطبق على المكان صمت رهيب، وحرج بالغ شديد، وانزويت جانبا لا أعرف ماذا أفعل... فالمدعوون ينتظرون طعام العشاء الذي تأخر، والمدينة التي توجد بها صحون الطعام تبعد مئات الكيلومترات، والقرية لا يوجد فيها العدد الكافي من تلك الصحون.

بدأت جموع الواقفين والمنتظرين أمام الطاهي بطرح الحلول العاجلة لهذه المشكلة دون أن يصلوا إلى حل حاسم، أو مقنع، فالوقت يمضي دون جدوى أو فائدة تذكر حتى قيض الله لنا رجلا كان قد حضر من إحدى القرى المجاورة، ذكر أن عرسا أقيم البارحة في تلك القرية، وأن أدوات الطباخ لا تزال موجودة، طالبا عددا من الشبان الإسراع معه ومساعدته في إحضار تلك الصحون، وبدا الناس جميعا يشاركون في غرف الطعام وتجهيزه وتقديمه للناس، لتتكشف الغمة، وتنجلي العتمة، ولآخذ بعدها عهدا بيني وبين نفسي، ألا أشارك في تنظيم مناسبة اجتماعية، أو عائلية، حتى أكون ملما بكل تفاصيلها من ألفها إلى يائها.

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE